محمّد عدنان قيطاز

أسامة بن منقذ

وَالجديدُ مِن آثارِهِ وَأشعارِهِ

٤٨٨ - ٥٨٤ هـ ١٠٩٥ - ١١٨٨ م

بِمناسَبَة مُرُور تِسعُمائة سَنة علَى وِلَادتِهِ

دراسات أدبية عربية

٢١

محمد عدنان قيطاز

أسامة بن منقذ

والجديد من آثاره وأشعاره

٤٨٨ ـ ٥٨٤ هـ ١٠٩٥ ـ ١١٨٨ م

بمناسبة مرور تسعمائة سنة على ولادته

منشورات وزارة الثقافة
في الجمهورية العربية السورية
دمشق ١٩٩٨

أسـامة بـن منقـذ والجديد من آثاره وأشعاره . . ./ محمد عدنان قيطاز . - دمشق : وزارة الثقافة، ١٩٩٨ . - ٢٧٢ص ؛ ٢٤سم . - (دراسات أدبية عربية ؛ ٢١) .

١- ٨١١٫٥٥ ق ي ط أ ٢- ٩٢٨ : ابن منقذ، أسامة ق
٣- العنوان ٤- قيطاز ٥- السلسلة

مكتبة الأسد

الايداع القانوني : ع - ٨٥/ ١/ ١٩٩٨

دراسات أدبية عربية
« ٢١ »

الاهداء

إلـى أبطـال بـلادي

من أيام بدر و حطين

إلـى أيــام تشــريـن

محمد عدنان قيطاز

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

هذا الكتاب عن الأمير العربي أسامة بن منقذ الكناني الذي خلب أنظار المستشرقين منذ قرن أو يزيد . . بمعلوماته الأصيلة التي أوردها في كتاب الاعتبار ، وبخاصة ملاحظاته الدقيقة حول الفرنجة وطباعهم وعاداتهم وتقاليدهم وأنماط محاكماتهم إبان فترة احتلالهم الاستيطاني لأجزاء من بلاد الشام في أواخر العصر الوسيط .

وقد قصدت من تأليفه أن أقدم للقارىء العربي كل ما هو جديد ومفيد عن أسامة بمناسبة مرور تسعة قرون على ولادته . وجعلت الكتاب ثلاثة أقسام :

قسم : أجملت فيه الحديث عن حياة أسامة ، لأن كثيرين من أصحاب المؤلفات قد فصّلوا فيها تفصيلاً أغناني عن التكرار ، والدخول في تفصيلات لا جدوى منها إلا في حدود ضيقة .

وقسم فصّلت فيه القول عن مؤلفاته التي أربت على الأربعين ، وحرصت أن أوثق ما ذهبت إليه من رأي أو ترجيح ، كما عمدت إلى تصحيح بعض الأخطاء العلمية التي وردت عند أصحاب التراجم وأهل البحث والتحقيق ، توخياً للدقة والتماساً للصواب .

أما القسم الأخير فقد جمعت فيه كل ما عثرت عليه من أشعار أسامة، مما لم يرد في ديوانه المطبوع. بعضها استشهد به أسامة في عدد من مؤلفاته، وبعضها الآخر التقطته من كتب الأدب والتراجم، ولا أدعي أنني جمعت كل ما ندّ عن ديوانه أو ضاع من شعره، فما زلت موقناً أن له شعراً لم أقع عليه، وهو مسطور في ثنايا الكتب التي لم تصل إليها يدي في هذه العجالة، وإني لأطمع أن أستدركها في المستقبل القريب. غير أن الإتقان كان وكدي، وهو جهد المقل. فقد أخذت نفسي على منهج ساطع في التحقيق والتأصيل، ولم أدخر وسعاً في ضبط النصوص التي عثرت عليها، وتخريجها وشرح ما استغلق من مفرداتها، وتصويب ما أخطأته أيدي النساخ. ثم رتبت ما جمعته على حروف المعجم، ليسهل على الباحثين الرجوع إليه، والإفادة منه. والله أسأل أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم، ويكتب لي أجره «يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم».

والحمد لله أولاً وآخراً.

حماة ١٢ جمادى الأولى ١٥١٦هـ

٦ تشرين الأول ١٩٩٥م

محمد عدنان قيطاز

القسم الأول

مسيرة حياة

المدخل

أسامة بن منقذ علم شامخ من أعلام الاسلام، جمع بين شرف النفس وكرم المحتد، وصلابة العزيمة ورسوخ العقيدة. سيفه وقلمه سواء في المضاء وحسن البلاء، هذا يفري الهام، ويشظي حتى أشرس السباع، وذاك يأتلق مداده على السطور، هدى ورشاداً، وحكمة وسداداً، فيضيء الفكر، ويثلج الصدر. فهو بحق ربّ السيف والقلم، وفارس الشعراء، وشاعر الفرسان. وآثاره دليل صدقه الفني، واقتداره وابتكاره، وإحساسه بالالتزام والانسجام قولاً وفعلاً.. في جميع أطوار حياته التي امتدت قرابة قرن من الزمن، كان فيها مثلاً أعلى في حسن السيرة، ونقاء السريرة مع اعتزاز واعتداد، ومغامرة ومخاطرة، وإيمان وتسليم. إنه العظامي العصامي كما يقول عن نفسه، والجمالي الجلالي كما يروق لي أن أدعوه. وإذ كان لكل إنسان من اسمه نصيب، فإن أسامة كاسمه في قوة نثره ونظمه كما يقول العماد الأصفهاني.

التعريف بأسامة وأسرته

هو أبو المظفر، مؤيد الدولة، أسامة بن مرشد بن علي بن مقلَّد بن نصر بن منقذ الكناني الكلبي، وقد ذكر العماد الأصفهاني نسبه كاملاً، ورفعه إلى يعرب بن قحطان[1].

وآل منقذ أسرة مرموقة، عريقة النجار، كريمة الأخبار، كانت لها الصدارة في حماة وحلب وما بينهما بسبب غناها، وامتلاكها للمنازل والديار. وقد أدت دوراً في سياسة هذه المنطقة منذ استيلاء مخلص الدولة مقلَّد بن نصرعلى كفر طاب في النصف الأول من القرن الخامس الهجري، حتى مستهل النصف الثاني من القرن السادس (١٠٤١ - ١١٥٧) م. ويعدّ سديد الملك علي بن مقلّد جدّ أسامة مؤسساً لإمارة بني منقذ في شيزر.

فقد تمكن من توسيع نفوذه، وبسط سيطرته على شيزر وأفامية واللاذقية، وبذلك أصبحت شيزر في عهده مركزاً لإمارة عربية بعد أن كانت بقعة بيزنطية قرابة ثمانين سنة (٣٩١- ٤٧٤هـ/ ٩٩٩- ١٠٨١م)[2]. وقد أجمع المؤرخون وأصحاب التراجم على علو قدم هذه الأسرة في السيادة والقيادة، والشعر والأدب.

يقول ياقوت الحموي: وفي بني منقذ جماعة أمراء شعراء، لكن أسامة أشعرهم وأشهرهم. وأورد في معجمه طائفة من أخبارهم وأشعارهم[3] وبسبب شهرة بني منقذ فقد عرف أسامة منسوباً إلى جدّه منقذ أكثر من نسبته إلى أبيه مرشد.

١- خريدة القصر ١ : ٤٩٨

٢- الإمارات العربية في بلاد الشام: ٢٩٣ وما تلاها.

٣- معجم الأدباء ٥ : ١٨٨ وما تلاها.

ولادة أسامة ونشأته:

ذكر أسامة في كتاب الاعتبار أنه ولد في السابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة ٤٨٨ هـ/ ١٠٩٥م، أي قبل بداية الحروب الصليبية بعامين. وقد لقيه ابن عساكر صاحب تاريخ دمشق والعماد الاصفهاني صاحب خريدة القصر، وكانا معاصرين له، فأخذا عنه تاريخ ولادته[١].

كما يذكر أسامة أن امرأة كبيرة في السن تولت إرضاعه على عادة سراة العرب في الرضاعة، وقد أورد هذه الإشارة في كتاب «أزهار الإنهار» عند حديثه عن غرائب اللبن. يقول أسامة: حين ولدت التُمس لي من يرضعني، فقدّر الله سبحانه الرزق من امرأة كبيرة قد نيّفت عن الستين سنة، ليس لها ولد صغير، فدّرت عليّ، وأرضعتني إلى حين فطمت. وعاشت بعد فطامي نحواً خمس عشرة سنة، وكانت رحمها الله متى عصرت ثديها طار منه اللبن كانها مرضعة[٢].

وكان أبوه مجد الدين مرشد رجلاً صالحاً، لاشغل له سوى العبادة، فما تراه العين إلا صائماً قائماً، مواظباً على قراءة القرآن ونسخه. ولما توفي أخوه الأكبر عز الدولة نصر بن علي، عهد إليه بالإمارة، فأبى مرشد والد أسامة زهداً فيها. وقال: والله لا وليّتها، ولأخرجنّ من الدنيا كما دخلتها. فتولاها أخوه الأصغر أبو العساكر سلطان[٣].

١- خريدة القصر ١: ٤٩٩، مختصر تاريخ دمشق ٤: ٢٥٨، وفي التكملة ١: ٩٥ [وقيل في شهر رمضان].

٢- بغية الطلب ٣: ١٣٦١.

٣- الكامل ١١: ٢١٩.

وعندما كبر أسامة تولاه أبوه بالرعاية والعناية، فنرى فيه معاني البطولة والفداء، وعلمه ركوب الخيل وفنون القتال وحيل الصيد.. حتى أصبح رجلاً بطلاً، وفارساً مقداماً، مسدّد الطعنة، مرهوب الجانب، يقتحم الأخطار ويصرع السباع. يقول أسامة: مارأيت الوالد رحمه الله نهاني عن قتال ولا ركوب خطر. ونجد في كتاب الاعتبار نماذج من فروسيته وشجاعته.. فقد ذكر أنه طعن فارساً فطار عن سرجه ميتاً، وطعن آخر طعنة خرقت جسده في أول قتال له مع الافرنج، ناهيك عن قتله الأسود مراراً[1].

وكما أراده أبوه فارساً كريماً، أراده عالماً عظيماً، ليجمع بين صفات الجمال وسمات الكمال، فيكون جمالياً جلالياً. إذ عهد به أبوه إلى نخبة من شيوخ عصره.. أمثال أبي الحسن علي بن سالم السنبسي، وأبي عبد الله محمد بن يوسف المعروف بابن المنيِّرة، وأبي عبد الله الطليطلي وكان سيبويه زمانه على تعبير أسامة في كتاب الاعتبار. فحفظ القرآن الكريم، وسمع الحديث الشريف، وأخذ عنهم علوم العربية. وهؤلاء الشيوخ ذكرهم أسامة في تضاعيف مؤلفاته، وروى عنهم[2]، وذكر ابن العديم غيرهم في بغية الطلب[3].

كما تسنى لأسامة أن يطلع على تراث العرب من شعر ونثر، ويحفظ الكثير من أشعارهم وأخبارهم، حتى أصبح لديه مخزون وافر من الثقافة العربية. وقد حفلت كتبه بأشتات منها، كما ضمت الكثير من مختارات الشعر ومفردات البلاغة وجوامع الكلم.

ويذكر الذهبي في تاريخه نقلاً عن أبي سعد السمعاني - وكان معاصراً لأسامة - قوله: «قال لي أبو المظفر - يعني أسامة -: أحفظ أكثر من عشرين ألف بيت من شعر الجاهلية»[4]. ويشكك فيليب حتي - ناشر كتاب الاعتبار - في صحة

١- الاعتبار: ٤٠ - ٤١ - ١٠٣.
٢- لباب الآداب: ١ - ١١، الاعتبار: ٢٠٨.
٣- بغية الطلب ٣: ١٣٥٩.
٤- لباب الآداب: ٢١ - انظر ترجمة المؤلف.

ذلك بقوله : والراجح أنه لم يتصل بجيل أسامة هذا المقدار من الأبيات[١] . ولو قدّر لفيليب حتي أن يطلع على ما أثبته أسامة من شعر العرب في كتاب المنازل والديار وكتاب العصا وكتاب لباب الآداب- وهو بالتأكيد لم يطّلع عليها- لعجب من وفرة هذا المحفوظ الزاخر ، وأسقط من حسابه ما ذهب إليه من شك وارتياب .

١- الاعتبار : انظر مقدمة المحرر- ع .

الخروج من شيزر إلى دمشق

قضى أسامة فترة الصبا والشباب في شيزر، وكان موضع اهتمام عمه أبي العساكر سلطان، محفوفاً برعايته الخاصة. ذلك أن أسامة في نظره كان أمل شيزر من بعده، ولم يكن قد رزق بالولد، ولما رزق من يخلفه على إمارة شيزر، تحوّل عن ابن أخيه أسامة، وصار يخشى على ولده منه، ويحسده على ما أوتي من قوة تثير خوفه، وتذكي هواجسه. وشعر أسامة بما كان يعتمل في صدر عمه من همّ وغمّ، فطلب من أبيه أن يأذن له بالخروج من شيزر وبلاد الله واسعة، وفيها منتجع للكريم.. يقول أسامة مخاطباً أباه:

لاتلزمني بالهوان وحمله ... إن احتمال الهون ثقلٌ مرهق
دعني وقطع الأرض دون معاشر ... كلٌّ عليّ لغير جرم محنق
تغلي عليّ صدورهم من غيظهم ... فتكاد من غيظ عليَّ تحرَّق
أعيا عليّ رضاهمُ فيئست من ... إدراكه.. ما النجم شيء يلحق
إن أغشهم قالوا: خلوبٌ ماذق ... أو أجفهم قالوا: عدوّ أزرق
قد أفسدوا عيشي عليّ وعيشهم ... فأنا الشقي بهم.. وهم أيضاً شقوا
فضل الأقارب برّهم وحنوّهم ... فاذا جفوني فالأباعد أرفق(1)

---

١ - ديوان أسامة بن منقذ: ١٧٧

حتى إذا وجد الفرصة سانحة خرج من شيزر سنة ٥٢٥ هـ، وحضر حرباً بين عسكر حمص والعسكر الزنكي، فجرح ونقل أسيراً إلى حماة. ثم تخلص من الأسر، والتحق بالموصل، وانتظم في الجيش الزنكي، وعمل تحت إمرة صلاح الدين الياغيسياني. وقد اشترك في عدد من المصافات.. على تكريت وبغداد وآمد وتعد هذه الوقائع من جملة الصراعات الداخلية في الشام والعراق لانتزاع السلطةوضم الشام إلى زنكي بن آق سنقر. أما المصافات على رفنية (بعرين) وقنسرين عامي ٥٣١ و٥٣٢ هـ فكانت مع الافرنج.

ولما علم أسامة أن الروم والافرنج يحاصرون شيزر، عز عليه أن يكون مسقط رأسه ومربع أهله ومرتع صباه تواجه الخطر الداهم، وهو بعيد عنها، فاستأذن صلاح الدين الياغيسياني، فأذن له. ثم ما لبث أن ظهر منه ما أوحش قلب أسامة، فبقي مع أهله يدافع وينافح، وعلى الرغم من أن حملة الروم والافرنج لم تحقق أهدافها في السيطرة على شيزر، إلا أنها كانت بمثابة امتحان لمصداقية الزنكيين الذين استجابوا لطلب آل منقذ في النجدة، فأنزل الزنكيون قواتهم على نهر العاصي قرب شيزر، وقاموا بحركة تخذيل الروم والافرنج، لأن الحرب خدعة كما يقال، وسرعان ماانتهى الحصار بالمصالحة.

ومن المؤكد أن أسامة أدى دوراً قتالياً هاماً في الدفاع عن شيزر، غير أن استبساله من أجل حمايتها قد أيقظ وساوس عمه أبي العساكر سلطان، وعادت إليه هواجسه القديمة، فكانت مدعاة لايغار صدر عمه من جديد. ولم تكن حادثة قتل الأسد التي رواها أسامة في كتاب الاعتبار إلا الشعرة التي قصمت ظهر البعير كما يقال، فدعاه عمه أبو العساكر، وطلب منه الرحيل عن شيزر قائلاً: شيزر لك فهبها لي». فخرج أسامة غضبان أسفاً على فراقها عام ٥٣٢ هـ أي بعد وفاة أبيه بعام واحد، وهو موقن أن ما حباه الله من فضيلة كانت مثار حسد الحاسدين ومصدر غيظهم.. يقول أسامة:

إن يحسدوا في السلم منزلتي من العزّ المنيفِ

فبما أهين النفس في يوم الوغى بين الصفوف

فلطالما أقدمت إقدام الحتوف على الحتوف

بعزيمة أمضى على حدّ السيوف من السيوف

ولم يعد أسامة إلى شيزر إلا بعد أن أصبحت ركاماً بعد الزلزال المدمر الذي أودى بحياة سكانها جميعاً سنة ٥٥٢ هـ[١].

١- مفرج الكروب ١ : ٧٨، الإمارات العربية في بلاد الشام: ٣٦٢ وما تلاها، الاعتبار: ٢، أسامة بن منقذ ١ : ٧٩ وما تلاها، ديوان أسامة: ٢٦٢، بغية الطلب ٣: ١٣٦٤.

أسامة في دمشق (٥٣٢- ٥٣٩) هـ

خرج أسامة من شيزر طريداً لايلوي على شيء، وأقام في دمشق، واتصل بصاحبها شهاب الدين محمود، فأكرم مثواه، وأجزل له العطاء، وميّزه بالتقريب على حد تعبير أسامة. ومثله فعل وزيره معين الدين أُنَر.

ومن المؤكد أن أسامة شارك في بعض العمليات العسكرية أيام إقامته في دمشق، كما شارك في الحياة السياسية، وكانت له سفارات إلى فولك ملك القدس، دلت على احترام الافرنج للأمير أسامة. ويبدو أن نشاطه السياسي، وتصاعد نفوذه إبان فترات الهدوء العسكري قد مكّن أسامة من توطيد سلطته السياسية في دمشق، وإنشاء علاقات ودية مع فرسان الداوية وتجار الافرنج. وهذا ماساعد على افتداء عدد من أسرى المسلمين. ويشير ابن القلانسي في تاريخه- وهو مؤرخ معاصر لأسامة- إلى خروج مؤيد الدين رئيس دمشق إلى صرخد ممتعضاً من إقدام أبي الكرام وزير الديوان ومعه أسامة بن منقذ على ما يخالف أمره، ولم يعد إلى دمشق إلا بعد تقرير إخراجهما منها. فاضطر معين الدين أُنَر إلى إخراج أبي الكرام وأسامة من دمشق إلى مصر تسكيناً للخواطر الثائرة[1].

وأسامة في كتاب الاعتبار لايدخل في تفصيلات هذا الموضوع، وإنما يكتفي بالإشارة إلى أسباب أوجبت مسيره إلى مصر بعد أن خسر كثيراً من أملاكه. وقد أظهر معين الدين أُنَر أسفه على فراق أسامة قائلاً: والله لو أن معي نصف الناس

١- الاعتبار: ٨١، تاريخ دمشق: ٤٣٤.

لضربت بهم النصف الآخر، ولو أن معي ثلثهم لضربت بهم الثلثين، وما فارقتك. ولكن الناس قد تمالوا عليّ، وما لي بهم طاقة(١).

وهذا القول يفسر لنا الموقف الرسمي والشعبي من قضية أبي الكرام وأسامة، في حين يعبّر أسامة في أبيات من الشعر بعث بها إلى معين الدين أثَر معترفاً بفضله، ومعللاً خروجه من دمشق. وتتلخص برغبة أسامة في إطفاء نار الفتنة خوفاً من أن تصيب صديقه الحميم معين الدين.. يقول أسامة:

معين الدين كم لك طوق منّ	بجيدي مثل أطواق الحمام
ولولا أنت لم يُصْحِبْ شماسي	لقسرٍ دون إعذار الحسام
ولكن خفت من نار الأعادي	عليك.. فكنتُ إطفاء الضرام(٢)

١- الاعتبار: ٤ - ٥

٢- ديوان أسامة: ٢١٩

أسامة في مصر (٥٣٩- ٥٤٩) هـ

دخل أسامة مصر محفوفاً بمظاهر الإنعام والاكرام، بوصفه عظيماً أخرجته دمشق تهدئة لخواطر الثائرين. وقد خلع عليه الخليفة الفاطمي الحافظ لدين الله، غير أن سعادته في مصر لم تدم طويلاً، فقد قدّر له أن يشهد فتنة السودان وصراعهم الدموي، وموت الخليفة المريض، وجلوس ولده الظافر بأمر الله، وخروج الوزير ابن السلار على الظافر. واضطر أسامة في غمرة هذه الصراعات أن يحارب إلى جانب ابن السلاّر الذي تمكن من القضاء على خصومه وعلى رأسهم الوزير ابن مصال، وإجبار الخليفة على الاعتراف بسلطته. وبذلك أصبح ابن السلار صاحب الكلمة الأولى في مصر[١].

ونظراً لموقف أسامة إلى جانب ابن السلار، فقد عهد إليه بالاتصال بالعادل نور الدين محمود بن زنكي لتحريك قواته حول طبرية، ليتمكن المصريون من احتلال غزة بعد أن شرع الافرنج في تحصينها. وقد نجحت سفارة أسامة إلى نور الدين، واستطاع أن يجبر الافرنج على التراجع عن عسقلان، في حين أصاب السلامة بمن معه في بيت جبريل بسبب كثرة الافرنج[٢].

وعاد أسامة إلى عسقلان، ومكث فيها أربعة شهور، ثم استدعاه ابن السلار إلى مصر. وبقي أخوه أبو الحسن علي في عسقلان لمتابعة المناوشات مع الافرنج، ولكنه ما لبث أن استشهد على أبواب غزة سنة ٥٤٥ هـ[٣].

١- الاعتبار: ٦ وما تلاها.

٢- المرجع السابق: ٨ وما تلاها.

٣- المرجع السابق: ١٧.

شهد أسامة بعد عودته إلى مصر قمة الصراعات الداخلية على السلطة، حيث أسفرت عن مقتل الوزير ابن السلار، واستقرار عباس في دار الوزارة، وماتبع ذلك من اغتيال الخليفة الظافر على يد الوزير عباس، والاجهاز على أسرة الخليفة. وقد استفظع أسامة ما حدث من البغي القبيح(١).

ولما علم الوزير عباس بمقدم أبي الغارات طلائع بن رزّيك من منية ابن الخصيب (المنيا اليوم)- وكان والياً عليها- بقواته، وتحقق من عداوة الجند والأمراء له، أخذ من القصر الأموال والجواهر النفسية- كما يقول أبو الفداء في تاريخه- وأزمع على الهرب إلى دمشق، والاستنجاد بالعادل نور الدين، وأجبر أسامة على مرافقته، وأخذ عليه الأيمان الغليظة.

وقد حاول الطلائع بن رزّيك أن يثني أسامة عن الذهاب مع الوزير الهارب بحكم المودة التي تربطهما، ووعده بمشاركته في كل خير يناله عندما يملك مصر. لكن أسامة لم يستطع التخلص من قبضة عباس، فظن به السوء جماعة من الأمراء، ورأوا فيه شريكاً لعباس في القتل. وكان خروجه مع عباس كارثة كبرى لحقت به وبأملاكه. فقد ثار الجندعليهما، وتعرض لهما المماليك الأتراك، فجرح أسامة جرحاً أفقده وعيه. ثم اضطر إلى إرسال أهله إلى الطلائع بن رزيك بعد أن عجز عن حملهم، وما كاد عباس ومن معه يسلمون بأرواحهم حتى فاجأهم الافرنج قرب عسقلان بالتواطؤ مع أخت الخليفة الظافر، فقتل عباس، وأسر نجم الدولة محمد أخو أسامة. أما الباقون فقد تحصنوا بالجبال، ثم عبروا وادي موسى وسط المخاوف والأخطار حتى وصلوا إلى دمشق في خامس ربيع الأول سنة ٥٤٩ هـ وهم في أشنع صفة من العدم والعري والفقر وفق تعبير ابن القلانسي(٢).

١- المرجع السابق: ١٨ وما تلاها.

٢- تاريخ دمشق: ٥٠٧، المختصر في أخبار البشر ٣: ٢٨، الاعتبار: ٢٣.

وللمؤرخين فيما حدث أقوال، فمنهم من ذكر مصرع ابن السلار دون أن يأتي على ذكر أسامة أمثال ابن القلانسي في تاريخ دمشق، وهو ممن عاصر أسامة، وسمع بمصرع ابن السلار وتوفي بعده بقليل سنة ٥٥٥ هـ. ومنهم من ألصق التهمة بأسامة، وجعله العقل المدبر لعملية اغتيال ابن السلار أمثال ابن الأثير في الكامل، وعنه أخذ أبو الفداء في المختصر. ثم جاء من بعدهما المقريزي في اتعاظ الحنفا، وعنه نقل ابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب من دون تثبت أو تمحيص. ومن المؤكد أنهم لم يقرؤوا كتاب الاعتبار لأسامة الذي سجّل مراحل هذه الأحداث بدقة، وتبرأ إلى الله من البغي القبيح[١]. كما أنهم لم يقرؤوا شعره الذي دفع فيه عن نفسه كل ما نسب إليه زوراً وبهتاناً.

يقول أسامة من قصيدة يخاطب بها الطلائع بن رزّيك وزير الديار المصرية:

فارقتكم مكرهاً والقلب يخبرني — أن ليس لي عوض عنكم ولا خلف
ولو تعوضت بالدنيا غبنت.. وهل — يعوضني من نفيس الجوهر الصدف؟
ولست أنكر ما يأتي الزمان به — كل الورى لرزايا دهرهم هدف
كم فاجأتني الليالي بالخطوب فما — رأت فؤاديَ من روعاتها يجف
واسترجعت ما أعارت من مواهبها — فما هفا بي على آثاره اللهف
ولا أسفت لأمرٍ فات مطلبه — لكن لفرقة من فارقته الأسف[٢]

كما أن الطلائع بن رزّيك كان على إدراك تام لحقيقة ماجرى، ولو علم أن أسامة كان شريكاً في المؤامرة لما راسله، أو حفظ أهله عنده، أو طلب إليه أن يكون والياً على أسوان، ولا أدل على ذلك من القصائد التي كانا يتطارحان بها، وقد كانت قصائدهما حافلة بالمودة، نابضة بمشاعر الاكبار والاباء. من ذلك قول ابن رزّيك يخاطب أسامة:

---

١ - الاعتبار: ٢١، شذرات الذهب ٤: ١٥٣، الكامل ١١: ١٩١.
٢ - ديوان أسامة: ١٣٥.

علومك البحر غمراً ليس تنتزف ... أسماعنا لمعاني درّها صدف

فإن يُجدْ قلتةً في الدهر ذو أدب ... تجده من بحرك الزخّار يغترف

وقد أساء لكم دهر مضى فإذا ... شئتم من الدهر فاقتصّوا أو انتصفوا

وإن دولتنا كنت الوحيد بها ... فضلاً، فكيف يرى منكم بها خلف

عليكمُ بدعُ الآداب قد وقفت ... فما لها عنكم في الدهر منحرف[1]

١- المرجع السابق: ٢٣٥ .

عودة أسامة إلى دمشق [٥٤٩- ٥٥٨] هـ

اتصل أسامة بخدمة الملك العادل نور الدين، وكاتبَ الطلائع بن رزّيك يطلب منه إرسال أهله، فاعتذر ابن رزّيك متعللاً بخوفه عليهم من الافرنج، ودعاه إلى الرجوع عن رأيه في الإقامة بدمشق، وكلفه بالمسير إلى مكة، ومنها إلى أسوان ليتولى حماية هذا الثغر من السودان. فعرض أسامة الأمر على العادل نور الدين، فلم يحبذه.. قائلاً: «ما صدقت متى تخلص من مصر وفتنتها، تعود إليها..؟ العمر أقصر من ذلك». وأخذ العادل نور الدين الأمان لأهله من الافرنج. ولكن الافرنج غدروا بهم عند عكا، وكسروا مركبهم، ونهبوا كل ما فيه من مال ومتاع. يقول أسامة: وحرمنا ذهاب ما ذهب من المال، إلا ما ذهب لي من الكتب، فإنها كانت أربعة آلاف مجلد من الكتب الفاخرة، فإن ذهابها حزازة في قلبي ماعشت[١].

أما أخوه نجم الدولة محمد فقد حاول افتكاكه من الأسر مستعيناً بابن عمه محمد بن سلطان أمير شيزر، فكتب إليه قصيدة يحرضه فيها على افتدائه.. منها:

هذا ابن عمك في أسر الفرنج له
حولٌ تجرّم في الأغلال والظلم

يدعوك.. لابل أنا الداعي نداك له
يا خير من علقته كف معتصم

١- الاعتبار: ٣٤- ٣٥.

ولاتظنّني أدعـــو ســـواك. . ولا
يفـــوه مـــجـــتـــدياً إلا إليك فـــمي
أنابن عــمك فــاجــعلني بفكّ أخي
من أســره لك عــبــداً مــا مــشت قــدمي

يقول أسامة في ديوانه: فلم يحركه الشعر، ولاسعى في خلاصه، ولا أعان عليه. وادّخر الله تعالى خلاصه وحسن ذكره للمولى الملك العادل نور الدين أدام الله أيامه، فوهبه فارساً من مقدمي الداوية يقال له المشطوب، قد بذل الفرنج فيه عشرة آلاف دينار، فاستخلص به أخاه من الأسر[١].

وما كادت عين أسامة تقر برؤية أهله وأخيه حتى اصطكت الأسماع بأخبار الزلازل التي شملت عدداً من المدن، ودمرت بعض القلاع سنة ٥٥٢ هـ، وأودت بشيزر وآل منقذ جميعاً. فكان هلاك أهله وبني قومه منعطفاً هاماً في مسيرة حياته. ولقد وقف أسامة على أطلال شيزر بعد ما أصابها الزلزال فلم يعرف داره ودار أبيه وإخوته وبني عمومته، فبكى واستبكى حتى غاضت بوادر الدموع وفق تعبيره[٢]. وسكب مشاعر الألم على الطروس شعراً خالداً على الزمان. . من ذلك قوله:

بنو أبي وبنو عـــمي. . دمي دمـــهم
وإن أرونـــي مـــنـــاواةً وشـــنـــآنـــا
كـــانوا ســـيـــوفي إذا نازلت حـــادثة
وجُنّتـي حـين ألـقـى الخـطـب عُريـانـا

١- ديوان أسامة: ١٩٩.

٢- المنازل والديار: انظر مقدمة أسامة لكتابه.

تراهم في الوغى أُسْداً ويوم ندىً

غيثاً هتوناً . . وفي الظلماء رهبانا

حاولت كتمان بثّي بعد فقدهمُ

فلم يطق قلبيَ المحزون كتمانا

فكيف بالصبر لي عنهم وقد نظموا

دمعي على فقدهم دراً ومرجانا

يطيّب النفس عنهم أنهم رحلوا

وخلّفوني على الآثار عجلانا

سقى ثرىً أو دعوه رحمةً ملأت

مثوى قبورهمُ روحاً وريحانا

وألبس الله هاتيك العظام وإن

بلين تحت الثرى عفواً وغفرانا[١]

وكأن أسامة شعر بعدهم بما ينتظره من ريب المنون، فذهب إلى بيت الله الحرام حاجاً، نافضاً عن كاهله أوزار الشبيبة سنة ٥٥٥ هـ، ثم شارك الملك العادل نور الدين في حصار حارم سنة ٥٥٧ هـ، ليختتم تاريخ حياته بالجهاد. ومال بعد ذلك إلى الراحة، وآثر العزلة والإقامة في ديار بكر بعيداً عن صخب المعارك، وكيد الكائدين، بعد أن شارف على السبعين[٢].

١- ديوان أسامة: ٣٥٦ وما تلاها.

٢- أسامة بن منقذ ١ : ١١٧ وما تلاها.

أسامة في ديار بكر [٥٥٨- ٥٧٠] هـ

توجه أسامة إلى ديار بكر، وتنقل بين حصونها ومدنها، فتارة تراه في نصيبين، وتارة أخرى في آمد، لايجد أنيساً يركن إليه، أو جليساً يروق له سوى خزائن الكتب، فكان يفزع إليها، ويجد عندها المتعة والسلوة، ويحكي أسامة في ديوانه عن خياط اسمه «مهدي» كان يلازمه في نصيبين، ولايحدثه إلا حديث معاشه ومكسبه، بعد أن كان أرباب الفضل والنبل، وأصحاب الأدب والرتب من ندمانه ومريديه. . يقول:

أحبابنا من ليَ لو ... دام التداني والجفا
فإنني أرى النوى ... من الصدود أتلفا
شتّتت الأيام ظلـ ... ـماً شملنا المؤتلفا
وكدّرت من عيشنا ... ما كان طاب أو صفا
وأوقفتني بعدكم ... من النوى على شفا
حتى رأى الحاسد بي ... ما كان يهوى واشتفى
وصار بعد البين ندمانيَ «مهدي» وكفى[1]

ثم ما لبث أن استقر في حصن كيفا، ووجد في التصنيف والتأليف ونظم الشعر ما يدفع عنه كربة الاغتراب، وفي رحلات الصيد والقنص ما يبعث فيه البهجة والمسرة. ولكن أسامة لم يغمض عينيه عما يجري حوله، ولم يصمّ أذنيه

---

١ - ديوان أسامة: ١٣٤ .

عن أخبار المعارك في ديار الشام. فقد كانت انتصارات الناصر صلاح الدين تشدّه إلى هذه الشخصية المظفرة، وتدفعه إلى الإشادة ببطولاته ووقائعه مع الافرنج، وكان يأمل على يديه إنقاذ الشام من براثن الافرنج. وفي ديوانه المطبوع والملتقط من شعره مجموعة من القصائد التي تمجد صلاح الدين وتخلد وثبته الباهرة من أجل وحدة الأرض ووحدة الشعب وتحريرهما من الغاصب الدخيل.

وما كاد الناصر صلاح الدين يفرغ من ضم دمشق إلى دولته حتى بادر إلى استدعاء أسامة، وكان مغرماً بشعره، وفي حوزته ديوانه.. كيف لا؟ وهو الشاعر الفارس، ولايعرف حق الفارس البطل إلا الفارس البطل. فلبى أسامة الدعوة، وشدّ الرحال إلى دمشق[1].

١ - الاعتبار: ١٦٤، كتاب الروضتين ١: ٢٤٧.

دمشق خاتمة المطاف [٥٧٠- ٥٨٤] هـ

عاد أسامة إلى دمشق تلبية لرغبة الناصر صلاح الدين، فوجد فيها لذة الإقامة، وحلاوة الكرامة، بعد الوحشة والاغتراب وفرط العذاب. وكانت سنّه قد أربت على الثمانين، وهي سنٌّ لاتمكنه من خدمة السلاطين وفق تعبيره. ولكن هذه العودة إلى ربوع الغوطتين كانت بمثابة التكريم والاحتفاء ببطل من أبطال الاسلام. وفارس من فرسان الأدب والسياسة والجهاد.

ويذكر أبو شامة في كتاب الروضتين أن أسامة كان موضع اهتمام صلاح الدين، فأنزله خير منزل، وأدرّ له أخلاف الرزق، وردّ له ما كان من أملاك. وكان يستشيره في النوائب، ويستنير برأيه في الغياهب، فيجد عند أسامة السداد والصواب وفصل الخطاب[١].

١-كتاب الروضتين ١ : ٢٦٤.

وفاة أسامة بن منقذ [٥٨٤ هـ ١١٨٨م]

عاش أسامة عمراً مديداً، حافلاً بالمكارم والمآثر، والرزايا والخطوب. فقد شهد الحملات الصليبية على بلاد الشام، وشارك في حركة الجهاد والاستشهاد من أجل تحرير الأرض العربية من غزاة الغرب.. في شيزر وما حولها، وتحت لواء الزنكيين. وساهم في الحياة السياسية أيام السلم والحرب على حد سواء، إبان العهد الزنكي، وفي أواخر العهد الفاطمي الذي انهارت قواعده على يد الناصر صلاح الدين، فجمع مصر والشام في ظل دولة واحدة تمهيداً لتحرير القدس من غاصبيها. ولكن أسامة لم يخلد إلى الراحة الأبدية إلا بعد عام واحد من الانتصار الكبير الذي حققه صلاح الدين على جموع الصليبيين في موقعة حطين، ودخوله بيت المقدس محرراً الأقصى من الغزاة الدخلاء.

ويذكر ياقوت في معجمه أن وفاة أسامة كانت في الثالث والعشرين من رمضان سنة ٥٨٤ هـ- ١١٨٨م. ويقول ابن خلكان في وفياته: ودفن من الغد شرقي قاسيون، ودخلت تربته على جانب نهر يزيد الشمالي، وقرأت عنده شيئاً من القرآن، وترحمت عليه[١].

وقد أورد ابن تغري بردي في تاريخه أن أسامة استوطن حماة، ومات فيها، والصواب ماذكرناه آنفاً[٢].

وبموت أسامة بن منقذ طويت آخر صفحة من صفحات تاريخ آل منقذ في بلاد الشام.

١- معجم الأدباء ٥: ١٩٢، وفيات الأعيان ١: ١٩٩، التكملة ١: ٩٥، سير أعلام النبلاء ٢١: ١٦٦، البداية والنهاية ١٢: ٣٣١، بغية الطلب ٣: ١٣٦٩.
٢- النجوم الزاهرة ٦: ١٠٧.

أسامة على ألسنة أصحاب التراجم:

تحدث أصحاب التراجم من معاصري أسامة، وممن جاء بعده، عن حياته وشعره وآثاره. وكلهم أجمعوا على سمو مكانته في الأدب والتاريخ وخدمة الاسلام والمسلمين. نذكر منهم:

ابن عساكر صاحب تاريخ دمشق (٥٧١) هـ: له يد بيضاء في الأدب والكتابة والشعر. ونقل عن محمد بن الحسن الملحي قوله: أسامة بن مرشد شاعر أهل الدهر، مالك عنان النظم والنثر.

العماد الاصفهاني (٥٩٧) هـ: أسامة كاسمه في قوة نثره ونظمه.. حلو المجالسة، حالي المساجلة.. معتدل التصاريف، مطبوع التصانيف.

ياقوت الحموي (٦٢٦) هـ: وفي بني منقذ جماعة أمراء شعراء، لكن أسامة أشعرهم وأشهرهم.

ابن العديم (٦٦٠) هـ: كان من الأمراء الفضلاء، الأدباء الشعراء، الشجعان الفرسان. له مصنفات عديدة، ومجاميع مفيدة، ومواقف مشهورة، ووقائع مذكورة، وفضائل مسطورة.

شمس الدين الذهبي (٧٤٨) هـ: أحد أبطال الاسلام، ورئيس الشعراء الاعلام.

صلاح الدين الصفدي (٧٦٤) هـ: كان من أكابر بني منقذ وشجعانهم وعلمائهم. له تصانيف عديدة في فنون الأدب.

ابن تغـري بـردي (٨٧٤) هـ: كـانت له اليـد الطولى في الأدب والكتـابة والشعر، وكان فارساً عاقلاً مدبراً، يحفظ عشرين ألف بيت من شعر الجاهلية.

وأعتقد أن شهادة هؤلاء الرجال الأعلام كافية للتدليل على المقعد الكريم الذي تبوأه أسامة في حياته وبعد مماته[1].

١- مختصر تاريخ دمشق ٤: ٢٥٨، خريدة القصر ١: ٤٩٨، معجم الأدباء ٥: ١٩١، بغية الطلب ٣: ١٣٥٩، الوافي بالوفيات ٨- الترجمة رقم ٣٨١٨، النجوم الزاهرة ٦: ١٠٧.

القسم الثاني

مؤلفات أسامة بن منقذ

عاصر أسامة بن منقذ اثنين من أعلام المؤرخين في النصف الثاني من القرن السادس الهجري، وهما ابن عساكر (٥٧١) هـ صاحب تاريخ دمشق، والعماد الأصفهاني (٥٩٧) هـ صاحب خريدة القصر. فقد عرفاه عن كثب، وشهدا له بحسن البيان والابتكار، واستنشداه شيئاً من شعره، وأثبتا في كتابيهما مقطّعات منه. ولكنهما لم يشيرا إلى واحد من مؤلفاته.. خلا كتاب العصا الذي ذكره العماد الأصفهاني من خلال مكاتبة بين أسامة والقاضي الفاضل[١].

ولعل ياقوت الحموي (٦٢٦) هـ صاحب معجم الأدباء - وهو أقرب أصحاب التراجم عهداً بأسامة - كان أول من أشار إلى مؤلفاته، وذكر منها خمسة، رأى واحداً منها، ونقل عنه صلاح الدين الصفدي (٧٦٤) هـ هذه الإشارة من دون زيادة أو نقصان[٢].

أما ابن الأثير (٦٣٠) هـ في تاريخه فلم يأت حتى على ذكر وفاة أسامة، وكذلك فعل أبو الفداء (٧٣٢) هـ في تاريخ المختصر. غير أن أبا الفداء في المختصر يشير إلى «تاريخ ابن منقذ» ولا يسميه عند حديثه عن أخبار بني منقذ والزلازل التي أصابت ديارهم في شيزر. كما يشير في تقويم البلدان إلى تاريخ الحصون والقلاع[٣].

وقد أورد المقريزي (٨٤٥) هـ في كتاب المقفى - وهو مخطوط محفوظ في لايدن - أربعة وثلاثين كتاباً[٤]، منها ما ذكره أسامة في تضاعيف تصانيفه، ومنها

---

١ - مختصر تاريخ ابن عساكر ٤ : ٢٥٨، خريدة القصر ١ : ٥٤٠.

٢ - معجم الأدباء ٥ : ٢٠٨، الوافي بالوفيات ٨ : ٣٨٢.

٣- الكامل: ج١٢ حوادث سنة ٥٨٤ هـ، المختصر ٣ : ٣١، تقويم البلدان: ٢٥٥.

٤ - الاعتبار (طبعة الرياض): ٢٣٥ وفيه أسماء كتب أسامة نقلاً عن المقفى ج٣- الورقة ١٤٠.

مالم يذكره. بعضها مخطوط قابع في البيوتات والمكتبات المتفرقة في أنحاء العالم، وبعضها مفقود أو هو بحكم المفقود. ولم يطبع منها سوى ثمانية كتب هي: ديوان أسامة، الاعتبار، العصا، المنازل والديار، لباب الآداب، البديع في نقد الشعر مختصر مناقب عمر بن الخطاب، مختصر مناقب عمر بن عبد العزيز.

وقد أحصى بعض الباحثين المعاصرين مؤلفات أسامة، فمنهم من ذكر له ثلاثة عشر كتاباً، ومنهم من ذكر ثمانية عشر. أما حسن عباس في كتابه الشامل عن أسامة بن منقذ فقد أحصى من آثاره واحداً وعشرين كتاباً. غير أني بعد الاطلاع على ما أخرجته المطبعة العربية من آثار أسامة، والعودة إلى مختلف المراجع والمصادر، قديمها وحديثها، عربية وأجنبية، وما كتبه أصحاب الدراسات والموسوعات العلمية. . تمكنت من إحصاء اثنين وأربعين كتاباً، وقد تزيد. . ومعظمها في الأدب والتاريخ والبلاغةوالأخلاق والشعر، وهي كما يلي:

أولاً: مؤلفات أسامة المطبوعة.

ثانياً: مؤلفات ذكرها أصحاب التراجم.

ثالثاً: مؤلفات تفرد بذكرها المقريزي.

وسوف نأتي عليها بشيء من التفصيل. . كل كتاب على حدة.

الفصل الأول

مؤلفات أسامة المطبوعة

كتاب الاعتبار

يعد كتاب الاعتبار من الكتب التي أثارت الباحثين والمؤرخين الأجانب لعلاقته بتاريخ الحروب الصليبية، وحظي لديهم بالدراسة والتحقيق والترجمة حظوة بالغة لم يحظ به كتاب سواه. وقد استطاع أسامة الذي عاش قرابة قرن من الزمن أن يدون جزءاً يسيراً من ذكرياته الطريفة بعد أن نيّف على التسعين، وهي ذكريات حافلة بالتداعيات والاستطرادات. منها ما يتعلق بحياته الشخصية، وبخاصة بطولاته الفردية، وسفاراته السياسية. ومنها ما يتعلق بطبائع الناس وأخبار الصالحين وكراماتهم، وأحوال الصيد والقنص والجوارح، وتنقلاته المختلفة في بلاد الشام ومصر والعراق وديار بكر. وأهم من هذا وذاك ما كان له علاقة بالافرنج، فقد خبرهم أسامة عن قرب، في أيام السلم والحرب، ورصد جانباً من حياتهم وعاداتهم وتقاليدهم وأنماط محاكماتهم، وما جبلوا عليه من جفوة في الخلق، واستهانة للحرمة، وانتهاك للذمّة، وعدم الغيرة والنخوة، على أن أسامة يعترف بشجاعتهم وإقدامهم واحترازهم. . فهو يقول «والافرنج- خذلهم الله- مافيهم فضيلة من فضائل الناس سوى الشجاعة»[1] وربما قرنهم بالبهائم لشدة صبرهم واحتمالهم [2]. وهذا الجانب من كتاب الاعتبار هو الذي لفت إليه أنظار المستشرقين. فعملوا على دراسته وترجمته إلى لغاتهم، لأن صاحبه شاهد عصر. . بل كان واحداً من صانعي أحداثه. وقد نقل عنه كثير من المؤرخين العرب مصرحين

١- الاعتبار (طبعة برنستون): ٦٤.

٢- المرجع السابق: ١٣٢.

باسمه تارة مثل أبي شامة في الروضتين، وغير مصرحين تارة أخرى مثل الذهبي في تاريخ الاسلام.

ولعل المستشرق الفرنسي هرتويج ديرنبورغ كان أول من كشف النقاب عن كتاب الاعتبار في نهاية القرن التاسع عشر، فقد كان خبيراً بمخطوطات مكتبة باريس الوطنية والمخطوطات الشرقية في مكتبات الاسكوريال ومدريد وقرطبة. فنشر أولاً مذكرات أسامة بن منقذ عام ١٨٨٦، وهي قطعة مجتزأة من كتاب الاعتبار، وكان قد عثر عليه في مكتبة الاسكوريال، ثم نقله إلى الفرنسية، ونشر المتن والترجمة عام ١٨٩٢، كما نشر ذكريات تاريخية وقصص القنص مأخوذة من كتاب الاعتبار عام ١٨٩٥[١].

ثم جاء من بعده المستشرق الألماني جورج شومان، ونقل مذكرات أسامة بن منقذ إلى الألمانية معتمداً على الطبعة الفرنسية، ولم ينقل الكتاب كاملاً إلى الألمانية إلا عام ١٩٧٨ من قبل المستشرق روتر[٢].

ونقله إلى الانكليزية فيليب خوري حتي عام ١٩٢٧، وقد أعادت جامعة كولومبيا طبعة ثانية[٣]. ثم تبعه المستشرق جورج بوتر ونقله ملخصاً عام ١٩٢٩ معتمداً على الطبعة الفرنسية بعنوان السيرة الذاتية لأسامة[٤].

وكانت هذه الطبعة موضع انتقاد فيليب حتي[٥] الذي نشر كتاب الاعتبار بالعربية عام ١٩٣٠ (طبعة برنستون).

وفي روسية نشر المستشرق كرياجين كتاب الاعتبار عام ١٩٢٣، وأعيد طبعه ثانية عام ١٩٥٨[٦].

---

١ - المستشرقون ١ : ٢١٣ - ٢١٤.
٢ - الاعتبار (طبعة الرياض): ٢٤٣.
٣ - أسامة بن منقذ (خ): الورقة ٤٥.
٤ - المستشرقون ١ : ٢١٣.
٥ - الاعتبار (طبعة برنستون) - انظر : مقدمة المحرر - س س.
٦ - المستشرقون ٣ : ٩٤٢، الاعتبار (طبعة الرياض) : ٢٤٣.

وفي بولونية نشر المستشرق كوفالسكي رئيس اللجنة الاستشراقية وعضو المجمع العلمي بدمشق مذكرات عربية عن المرحلة الأولى من الحملات الصليبية للأمير السوري أسامة بن منقذ وذلك عام ١٩٢٣، ولم ينشر كتاب الاعتبار كاملاً إلا عام ١٩٧٣ بعناية المستشرق جان ريخمان[١].

أما في الدانمارك فقد نشر كتاب الاعتبار عام ١٩٥٠ بعناية المستشرق كراروب[٢]. كما ترجمه إلى اليوغسلافية المستشرق داركوتانا سكوفيتش عام ١٩٨٤[٣].

ويشتمل كتاب الاعتبار على ثلاثة أقسام:

الأول تاريخي، ويضم شريطاً من ذكريات أسامة وبطولاته وأسفاره ومشاهداته، وشيئاً من طباع الافرنج وحروبه معهم وعجائب السلامة تحقيقاً للغاية التي قصدها من تأليف كتاب الاعتبار، وهي أخذ العبرة، وفي بقائه عمراً مديداً أفضل معتبر.

والثاني نبذة من أخبار الصالحين وكراماتهم، بالإضافة إلى المعجزات الطبية التي ظهرت في عصر أسامة، وبخاصة طب يوحنا بن بطلان الحلبي المشهور بالعلم والتقدم في صناعة الطب.

والثالث يتعلق بأخبار الصيد والقنص والجوارح، مما حضره أسامة أو سمع به. مدللاً على خبرته الواسعة في طرق الصيد وحيله وأدواته، وطبائع الجوارح والطير والكلاب في أثناء عمليات الصيد المتنوعة في البر والماء.

ولكتاب الاعتبار طبعتان محققتان:

الأولى طبعة جامعة برنستون في الولايات المتحدة عام ١٩٣٠ بعناية فيليب حتي، ولها طبعة ثانية في بيروت عام ١٩٨١. وهذه الطبعة لاتخلو من مزالق

١- المستشرقون ٢: ٨٢٧، الاعتبار (طبقة الرياض): ٢٤٤.

٢- الاعتبار (طبقة الرياض): ٢٤٣.

٣- أخبار التراث ٥: ٢٢.

النسخ والتصحيف، وعثرات الوهم والفهم، وتفتقر إلى التعليقات الهادية إلى فهم بعض النصوص. غير أن لهذه الطبعة فضل الريادة في تقديم الكتاب إلى القارىء العربي بعد نشرة ديرنبورغ.

والثانية طبعة دار الأصالة في الرياض عام ١٩٨٧ بعناية الدكتور قاسم السامرائي، وتمتاز هذه الطبعة بإضافة نصوص ضائعة من الأصل، وجدها المحقق في ثنايا كتب التاريخ، وعزاها إلى كتاب الاعتبار. منها ما هو منقول من كتاب الاعتبار بصريح الاسم، كما فعل أبو شامة في كتاب الروضتين، ومنها ما دلت عليه قرينة في السياق، كما فعل الذهبي في تاريخ الاسلام. ومن النقول ما يجعلني أشك في صحة نسبتها إلى كتاب الاعتبار، وبخاصة ما كان منقولاً من تاريخ مفرج الكروب في أخبار بني أيوب لابن واصل الحموي، أو من تاريخ المختصر في أخبار البشر لأبي الفداء[١]، لأني أعتقد أن ما عزاه المحقق إلى كتاب الاعتبار لاينضوي تحت عنوانه بقدر ما ينضوي تحت عنوان «تاريخ أهله» الذي رآه ياقوت الحموي، أو «تاريخ أيامه» الذي أشار إليه ياقوت أيضاً في معجمه، وسوف نتحدث عنهما بعد قليل.

وطبعة الرياض إذا قورنت بطبعة برنستون، فهي أكثر ضبطاً، وأصح فهماً، وأقوم عبارة. وقد أغناها محققها بالحواشي العلمية والفهارس الكاشفة، غير أنها لم تسلم من بعض الجهل في تحديد عدد من المواقع الجغرافية التي شاعت في كتاب الاعتبار. نذكر منها: تل الملح، تل التلول، الشاروف، حل عارا، تل صفرون. . وغيرها[٢]، وهي مواقع لم ترد في معاجم البلدان القديمة، ولكنها وردت في تضاعيف بعض التصانيف، ولو وقف عليها المحقق، أو سأل عنها أهل العلم لأدرك الصواب، ولكنه سأل عنها قوماً جاهلين، فلم يهتد إلى معرفتها، فهو يقول مثلاً عن تل صفرون: وقد سألت عنه جماعة من أهل حماة فلم يعرفوه[٣]. وهو تل

١- الاعتبار (طبعة الرياض): ١٥.
٢- الاعتبار (طبعة الرياض): ٧٨- ٩١- ١٢٤- ٢٠٧- ٢١٣.
٣- المرجع السابق: ٢١٣- انظر الحاشية رقم ٤٦٢.

أمام باشورة حماة من جهة الجنوب، ويعرف اليوم بتل الدباغة، وكان مقبرة أيام أسامة.

وقد قامت وزارة الثقافة السورية عام ١٩٨٠ ضمن سلسلة المختار من التراث العربي رقم ١٤ بنشر القسم الأول من كتاب الاعتبار بعناية الدكتور عبد الكريم الأشتر معتمداً على طبعة فيليب حتي، فحذف من الكتاب قسميه الثاني والثالث، كما حذف من قسمه الأول بعض النصوص الشعرية، والاستطرادات التاريخية، وشهادة أسامة في الناصر صلاح الدين، وهي بمجموعها لاتشكل أكثر من عشر صفحات على أبعد تقدير. ولو نشر الكتاب كاملاً لوجد القارىء العربي فيه متعة لايعرفها إلا أصحابها.

كتاب المنازل والديار

يتبوأ كتاب المنازل والديار مكانة مرموقة في قائمة مؤلفات أسامة بن منقذ من الناحية الأدبية، بسبب الوحدة الموضوعية التي تنتظم فصوله جميعاً. وقد كانت نسخته الخطية الوحيدة محفوظة مع مجموعة من المخطوطات العربية النادرة في المكتبة الامبراطورية العامة بروسية قبيل الثورة البلشفية. ثم آلت بعد الثورة إلى المتحف الآسيوي بلينينغراد (بطرسبورغ)، حيث نشر الكتاب عام ١٩٢٥ من قبل المستشرق كراتشكوفسكي بطريقة التصوير[١]، ولم يطبع إلا في دمشق من قبل المكتب الاسلامي على نفقة الشيخ علي بن عبد الله آل ثاني حاكم قطر السابق، وجعله وقفاً لله تعالى. ثم أعيد طبعه في مصر مرتين بعناية الأستاذ مصطفى حجازي، الأولى عام ١٩٦٨ والثانية عام ١٩٩٢.

وقد صنّف أسامة كتابه سنة ٥٦٨ هـ في حصن كيفا بديار بكر، وهو في قمة الثمانين، بعد خروجه من دمشق. وأوضح الدافع إلى تصنيفه بقوله: دعاني إلى جمع هذا الكتاب ما نال بلادي وأوطاني من الخراب... فأصبحت كأن لم تغن بالأمس... قد دثر عمرانهما، وهلك سكانها... ولقد وقفت عليها بعد ماأصابها من الزلازل ما أصابها.. فما عرفت داري، ولا دور والدي وإخوتي، ولادور أعمامي وبني عمي وأسرتي، فبهت متحيراً... وقد عظمت الرزية حتى غاضت بوادر الدموع... فاسترحت إلى جمع هذا الكتاب، وجعلته بكاء للديار والأحباب[٢].

١- المستشرقون ٣: ٩٥٦.

٢- المنازل والديار: ٣- ٤.

ويشتمل الكتاب على ستة عشر فصلاً، تناول فيها ذكر المنازل، والديار، والمغاني، والأطلال، والربع، والدمن، والرسم، والآثار، والمساكن وما يلحق بها، والأرض، والأوطان، والمدن، والبلاد، والدار، والبيت ويختم أسامة كتابه بفصل في ذكر بكاء الأهل والإخوان(١).

وقد اعتمد أسامة عند إعداد كتابه على مجموعة من دواوين العرب في الجاهلية والاسلام، كما اعتمد على بعض المختارات الشعرية كحماسة أبي تمام، وأشعار الهذليين وكتاب الكامل للمبرد، وإن لم يصرح بأسمائها، وكثير من نقوله جاءت عن طريق أبي الفرج الأصفهاني دون أن يسمي كتاب الأغاني(٢)، ومن النقول ما كانت عن طريق الطبري، وبخاصة فيما يتعلق بالحوادث التاريخية، لكنه لايذكر المرجع الذي اعتمد عليه، وإن كنا نرجح بأنه تاريخ الرسل والملوك، ومعظم هذه النقول كانت من رواية ابن اسحاق. في حين يصرح بذكر كتاب «نسب الصحابة»، وهو كتاب لم نعثر عليه في قائمة مؤلفات الطبري التي أشار إليها كل من ترجم له(٣). كما نقل عن القاضي أبي الحسن الماوردي عندما كان يضطر إلى توضيح بعض الأحكام الفقهية من دون أن يسمي كتابه(٤). أما الكتب التي سماها واستقى شيئاً من مادتها فهي: فضائل أنس بن مالك للإمام أبي حامد الغزالي، وتاريخ الخطيب البغدادي(٥).

وكتاب أسامة غني بالمعلومات الشخصية، فقد نقل عمن لقيهم من رجالات عصره، فيسميهم تارة، وربما اكتفى بقوله: وحدثني من أثق به. كما اعتمد على رسائل العزاء التي كتبها إليه نفر من الأمراء والشعراء أمثال الطلائع بن رزّيك والقاضي المهذب بن الزبير(٦). وهناك شواهد شعرية لأمراء البيت المنقذي مثل جدّه

١- المرجع السابق: ٥.
٢- المرجع السابق: ١٦٤- ٤٥٣.
٣- المرجع السابق: ٣٢٣- ٣٤٢.
٤- المرجع السابق: ٥٥- ٣٥٨- ٣٧٨.
٥- المرجع السابق: ٣٢٦- ٢٧٧.
٦- المنازل والديار: ١٢- ٧٩- ٢٣٠.

سديد الملك وعمه وأبيه وأخيه، ولم ينس أن يستشهد بمقطعات من شعره في خمسة عشر موضعاً، ومعظمها لم يرد في ديوانه المطبوع.

إن كتاب المنازل والديار يعد بحق ديواناً للشعر العربي في موضوع محدد، وقد أحصيت الأبيات التي استشهد بها أسامة من شعر العرب، فكانت ثلاثة آلاف وثمانمائة وتسعة عشر بيتاً، لأربعمائة وستة وعشرين شاعراً، منهم عدد قليل من الشاعرات. وفي الكتاب قدر كبير من الأشعار التي أغفلتها أقلام التدوين، مما يصح بها الاستشهاد، أو يقوم به الاحتجاج، إضافة لما اشتمل عليه من فوائد لغوية وتاريخية، واستطرادات وقصص دعا إليها السياق توضيحاً لمشكل، أو إزالة لإبهام. فأغنى بذلك تاريخنا الأدبي ومعجمنا الشعري.

ويعزز ما ذهبنا إليه إعادة نشر ديوان النابغة الجعدي في دمشق عام ١٩٦٤ من قبل الأستاذ عبد العزيز رباح بعد إضافة كل ما وقع عليه في كتاب المنازل والديار من شعر الجعدي، وقد سبق للمستشرقة الايطالية ماريا نالينو أن جمعت شعره ونشرته لأول مرة عام ١٩٥٣ في روما[١].

---

١ - شعر النابغة الجعدي- المقدمة: هـ

كتاب العصا

لعل أقدم إشارة إلى كتاب العصا في كتب التراجم وردت عند ياقوت الحموي في معجم الأدباء، غير أن التسمية في طبعة مرجليوث جاءت مصحفة من قبل الناسخ أو المحقق باسم «القضاء»، ولاأعتقد أن ياقوتاً لايعرف بدقة تسمية كتاب العصا، فهو قريب العهد بمؤلفه، ونقل الكثير عنه وعن أعلام أسرته من معاصريه[1].

وعندما نشر كتاب لباب الآداب لأسامة بتحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر ذكر كتاب العصا باسم «القضاء» نقلاً عن طبعة مرجليوث، وقال بخطأ فيليب حتي دون أن يتحقق من صحة النسبة. ومثله فعل الأستاذ شعيب الأرناؤوط محقق المنازل والديار (طبعة المكتب الاسلامي) والاستاذ عبد آ علي مهنا محقق البديع في البديع (طبعة بيروت)[2].

ولما وقف الاستاذ أحمد أمين على قطعة من كتاب العصا، كتب مقالاً في مجلة الثقافة المصرية بعنوان «العصا أم القضا. . ؟» فقطع الشك باليقين في تسمية الكتاب، وعرّف به، وأورد منه مختارات شعرية ونثرية مما قيل في العصا[3]. وقد توهم المؤرخ الحموي أحمد قدري الكيلاني في كتابه المخطوط عن أسامة، فذكر أن

١- معجم الأدباء ٥ : ١٨٤.

٢- لباب الآداب- ترجمة المؤلف: ٢٧، المنازل والديار- ترجمة المؤلف: ف، البديع في البديع- المقدمة: ص.

٣- فيض الخاطر ٤ : ١٤٣ وما تلاها.

أحمد أمين نشر كتاب العصا في كتاب فيض الخاطر، والصواب: مقال «العصا أم القضا» وليس كتاب العصا[1].

أما المستشرقون فقد اهتموا بآثار أسامة بوصفه معاصراً للحروب الصليبية، وله فيها مشاهدات دوّنها في كتاب الاعتبار. وأول من أشار إلى كتاب العصا هو المستشرق الفرنسي هرتويج ديرنبورغ الذي نشر كتاب الاعتبار متناً وترجمة عام ١٨٩٢، ثم أعقبه بنشر منتخبات من كتاب العصا ومن ديوان أسامة عام ١٨٩٣[2].

ويبدو لي أن هذه المنتخبات قد وصلت إلينا فاقتبس منها الشيخ طاهر النعساني نتفاً أثبتها في المحاضرة التي ألقاها في المجمع العلمي بدمشق عام ١٩٢٩، كما اعتمدها المؤرخ الحموي أحمد قدري الكيلاني في كتابه المخطوط «أسامة بن منقذ» وسماها «ذيل العصا» بدليل سنة الطبع.

ومن المؤكد أن هذه المنتخبات من كتاب العصا هي نفسها التي نشرها المستشرق ديرنبورغ، ثم عمل على تحقيقها عبد السلام هارون، ونشرها في كتابه نوادر المخطوطات- الجزء الأول، دون أن يدرس ما ورد في مقدمة كتاب العصا على لسان أسامة دراسة تحقيق. فقد جاء في مقدمة الكتاب قول أسامة: وقد افتتحته بذكر عصا موسى عليه السلام ثم ذكر عصا سليمان بن داود عليهماالسلام[3]. ومن يتصفح ما نشر من كتاب العصا في نوادر المخطوطات لايقع على عصا موسى أو عصا سليمان عليهما السلام، مما يدل على أن ما نشره عبد السلام هارون ما هو إلا نبذة صغيرة من كتاب العصا. غير أنه يستدرك في الطبعة الثانية لنوادر المخطوطات عام ١٩٧٢، ويعترف بوجود نسخة كاملة من كتاب العصا محفوظة بمكتبة خدابخش عاصمة اقليم بهار بالهند، وفي معهد إحياء المخطوطات العربية بمصر نسخة مصورة منه، ويعد عبد السلام هارون بنشره مستقلاً بعد دراسته وتحقيقه[4]، ولكنه لم يفعل.

١- أسامة بن منقذ (خ): الورقة ٤٨.

٢- الاعتبار: (طبعة برنستون) - مقدمة المحرر: ك- الحاشية رقم ٢٨.

٣- نوادر المخطوطات ١: ١٨٣ (الطبعة الأولى).

٤- نوادر المخطوطات ١: ١٧٤ (الطبعة الثانية).

وقد نشر الاستاذ عبد الحسيب الشيخ سعيد صاحب مطبعة الاصلاح بحماة منتخبات ديرنبورغ على أنها كتاب العصا، ويذكر المؤرخ الحموي أحمد قدري الكيلاني أن هذه الطبعة خالية من التحقيق والتعليق[1]. ولم ينشر كتاب العصا كاملاً إلا في القاهرة عام ١٩٧٨ على يد الباحث المقتدر حسن عباس الذي عثر على ثلاث نسخ خطية منه، في ايطاليا وهولندا والهند، فقام بتحقيقه والتعليق عليه، أحسن الله مثوبته، ثم طبع ثانية عام ١٩٨١.

ويستفاد مما كتبه أسامة في صدر كتابه أنه سمع بكتاب يحمل اسم العصا وهو في أول الشباب، فكان يتطلّبه في كل مكان فلا يجده، وكلما تعذّر وجوده ازداد حرصاً على طلبه، إلى أن حداه اليأس منه على جمع كتاب العصا.

ومن المؤكد أن أسامة كان يعرف أن للجاحظ فصلاً في البيان والتبيين يحمل اسم العصا، ولكنه ظن أن ما سمع به هو كتاب آخر بدليل أن أسامة اعتمد على كتاب الجاحظ، واستفاد من بعض أخباره، وما ورد عنده في فضيلة العصا من أشعار.

يقول أسامة في مقدمة كتاب العصا: وكتابي هذا وإن كان خالياً من العلوم التي تتجمل التصانيف بها.. فما يخلو من أخبار وأشعار تميل النفوس إليها.. وقد افتتحته بذكر عصا موسى عليه السلام، ثم ذكر عصا سليمان بن داود عليهما السلام، ثم أفضت في ذكر الأخبار والأشعار التي يأتي فيها ذكر العصا. ولا أدعي أنني أتيت على ذكر العصا فيما جمعته، وإنما أوردت منه ما حفظته وسمعته[2].

ولكن أسامة لايكتفي بما حفظ وسمع، وإنما يستقي بعض مادة كتابه من أصول وردت في ثناياه، فهو يستعين بنقول من الكتاب والسنة، وأقوال بعض الصحابة والأئمة، كما ينقل من سيرة ابن اسحاق، والبيان والتبيين للجاحظ، وحماسة أبي تمام، والعقد الفريد لابن عبدربه، والحلية لابن نعيم الحافظ، وكتاب

١-أسامة بن منقذ (خ): الورقة ٤٨.
٢- كتاب العصا: ٥.

الأوائل لأبي هلال العسكري، ومقامات الحريري.. وغيرها. كما يضفي على كتابه شيئاً من مشاهداته في شيزر وبيت المقدس، ويأتي على ذكر أحوال الفرنجة[١].

وربما نقد بعض النصوص الشعرية مدللاً على مقدرته العلمية، وبخاصة في علمي النحو والعروض[٢]، إلى جانب ما أورده من أشعار آل بيته وشعره مما لم يرد في ديوانه المطبوع.

وأسامة في كتابه يقدم لنا جديداً من التراث العلائي، فقد ضمنه رسالة أبي العلاء المعري إلى أبي القاسم بن أبي العود، وقف عليها وفيها ذكر العصا، و لم ترد في أي كتاب سواه. كما يقدم لنا نصاً نادراً من كتاب «القائف» الذي لانعرف عنه غير اسمه، مما يسبغ على كتاب العصا قيمة كبرى بوصفه حافظاً لإشارات وعبارات من أصول تراثية ضاع معظمها[٣].

وجدير بالذكر أن كتاب العصا يشتمل على قصيدة جديدة لأسامة لم ترد في ديوانه، ولانظير لها في شعره كله. والقصيدة محاورة بينه وبين امرأة رأته يعبر الدروب، وهو هرم متهدم، يتوكأ على عصاه، وقد أكلته الأعوام ولم يبق من وسيم أريحيته إلا سمات وشيات قرأتها على وجهه الحزين، فاستوقفته واستخبرت عن حاله، وقد أثبتها في الملتقط من شعر أسامة[٤].

وخلاصة القول فيه، إنه مجموع فريد في بابه، ثمين في مادته، واحد في موضوعه، جمع بين القديم والمحدث، بين طريف الأثر وتليد الخبر، بين أدب التاريخ وتاريخ الأدب، وفيه من سحر البيان بقدر ما فيه من سحر المبين.

١- المرجع السابق: ٢٣٤- ٢٥٩.
٢- المرجع السابق: ١٩١- ٢١٣.
٣- المرجع السابق: ٤٣٥- ١٣٤.
٤-المرجع السابق: ٤٥١.

كتاب لباب الآداب

كتاب في الفضائل ومكارم الأخلاق، أملاه أسامة بن منقذ قبيل وفاته بخمس سنين، وكان قد أشرف على الحادية والتسعين من عمره، ويمثل الكتاب قمة ثقافية وقيمة أخلاقية وصل إليهما الفارس الشاعر، وتعبران أصدق تعبير عن فضله وفضيلته، واطلاعه الواسع، وذوقه الرفيع في اختيار النصوص بعد التثبت من صحة نسبتها. وقد كان الكتاب مجهولاً حتى أماط عنه اللثام يعقوب صروف صاحب المقتطف في مطلع القرن العشرين، ونشره محققاً أحمد محمد شاكر سنة ١٩٣٥ بمصر.

والكتاب مرتب على سبعة أبواب، هي: الوصايا، السياسة، الكرم، الشجاعة، الآداب، البلاغة، الحكمة. وقد أجمل المؤلف في الأبواب الأربعة الأولى، وفصّل في الثلاثة الأخيرة. ويشتمل باب الآداب- على سبيل المثال- على خمسة عشر فصلاً، هي: الأدب، كتمان السر، أداء الأمانة، التواضع، ترك الكبر، حسن الجوار، حفظ اللسان، القناعة، الصبر، الحياء، ترك الرياء، والاصلاح بين الناس، التعفف عن السؤال، التحذير من الظلم، الاحسان وفعل الخير، مداراة الناس والصبر على الأذى. وكان المؤلف يستشهد في كل باب من أبواب الكتاب بآيات الكتاب العزيز، وأحاديث النبي الكريم، وأقوال الصحابة، وأشعار العرب، وحكمة الحكماء من عرب وفرس وهنود ويونان. وربما قص شيئاً من مشاهداته، أو تمثل بشعره. وقد يحيل القارىء إلى واحد من مؤلفاته مخافة التطويل.

وأسامة في كتابه محقق مدقق، فهو حريص على صحة نسبة المادة المنقولة إلى أصحابها، من ذلك ما رواه المازني من شعر الاعتذار منسوباً إلى النابغة الذبياني. يقول أسامة: وقد وقفت على عدة نسخ من شعر النابغة، فما رأيت هذين البيتين فيما دوّن من شعره[1].

وكتاب لباب الآداب خلاصة تجربة ومشاهدة وسماع، كان فيها جميعاً دقيق الاختيار، يدل على محفوظ غزير، ومحصول وافر، وذوق رفيع، وعقل راجح، ومعرفة مبصرة واعية، وقد لانعدو الحقيقة إذا قلنا: إنه معلمة في الأدب والسلوك الإنساني. كلماته مصابيح، فيها هدى ونور، ورزانة ووقار، وحسن وإحسان، يحوطها الجميل الأصيل من بيان العرب الساطع، ومكارم الدين القويم.

١- لباب الآداب: ٣٧٧.

مختصر مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب

أصل هذا الكتاب من تأليف أبي الفرج بن الجوزي (٥٩٧) هـ، وكان معاصراً لأسامة، وله عدد من المؤلفات أربت على الثلاثمائة . ولعل إعجاب أسامة بشخصية عمر الفذة كانت باعثاً له على اختصار كتاب ابن الجوزي، وربما كانت دفعاً لتهمة التشيع التي لحقت به إبان وجوده في مصر قبيل سقوط الدولة الفاطمية . في حين يرى الباحث المصري حسن عباس في كتابه عن أسامة أن هذا المختصر قد يكون دليلاً على حسن عقيدته أو مداراته عن منصبه أكثر من كونه دليلاً على عدم تشيعه[١]، متكئاً على مقولة أوردها الذهبي نقلاً عن يحيى بن أبي طي صاحب تاريخ الشيعة[٢]، والمسألة تحتاج إلى قدر من التفصيل ليس هذا محله .

ويستفاد مما كتبه أسامة في مقدمة هذا المختصر أنه وقف على كتاب مناقب عمر في شوال سنة ٥٦٧ هـ، وهذه الإشارة قد تفيد في تحديد سنة اختصاره، أو بعدها بسنة واحدة، أيام كان مقيماً في حصن كيفا بديار بكر .

ويذكر الشيخ طاهر النعساني أنه عثر على نسخة خطية من هذا المختصر، وبعث بها مع مختصر الموافقة بين آل البيت والصحابة للزمخشري إلى العلامة أحمد تيمور، وهي الآن موجودة في المكتبة التيمورية[٣]، كما تحتفظ دار الكتب

١- أسامة بن منقذ ١ : ١٣٨ .

٢- سير أعلام النبلاء ٢١ : ١٦٦ .

٣- أسامة بن منقذ أو شيزر وآل منقذ : ٣٥ .

المصرية بنسخة خطية أخرى. في حين يذكر المؤرخ الحموي أحمد قدري الكيلاني في كتابه المخطوط عن أسامة أنه قام والشيخ طاهر النعساني بتحقيق هذا المختصر وضبطه والتعليق عليه. وقد طبع هذا المختصر في المطبعة المصرية بالأزهر دون أن يذكر تاريخ الطبع[٢].

---

١ - أسامة بن منقذ (خ): الورقتان ٤٨ - ٤٩.

مختصر مناقب أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز

أصل هذا الكتاب أيضاً من تأليف أبي الفرج بن الجوزي، وقد عمد أسامة إلى اختصاره، وتجريده من الأسانيد، وحذف ما فيه من التكرار على غرار ما فعل في مختصر مناقب عمر بن الخطاب. وجدير بالذكر أن هذا المختصر لم يشر إليه أحد من أصحاب التراجم، وتحتفظ دار الكتب المصرية بنسخة خطية منه. ويذكر المؤرخ الحموي أحمد قدري الكيلاني في كتابه المخطوط عن أسامة أن المختصر مطبوع في مصر بالمطبعة السلفية[١].

١ - أسامة بن منقذ (خ): الورقة ٤٨.

البديع في نقد الشعر

حرص أسامة على جمع ما تفرق من كتب العلماء في نقد الشعر، وذكر محاسنه وعيوبه في كتاب واحد، يغني عن كتب عديدة، فكان كتاب البديع في نقد الشعر، أو «البديع في البديع» كما يروق لبعضهم أن يسميه. ويعترف أسامة في مقدمة كتابه أن له فضيلة الاتباع، ولمن سبقه فضيلة الابتداع، فقد أشار إلى المصادر الأساسية التي وقف عليها، ورجع إليها عند إعداد البديع، وهي: البديع لابن المعتز، وكتاب الحالي والعاطل للحاتمي، وكتاب الصناعتين للعسكري، وكتاب العمدة لابن رشيق، ولم يشر إلى ما سواها، غير أن دارس كتاب البديع لأسامة سوف يلحظ أن هناك مراجع وردت في تضاعيف كتابه، وبخاصة اللامع العزيزي لأبي العلاء المعري. والبيان والتبيين للجاحظ، والحماسة لأبي تمام وغيرها. ولعل أسامة كان يختار منها ما يراه صالحاً للاستشهاد، أو يفي بالغرض الذي قصده.

ويشتمل كتاب البديع في نقد الشعر على خمسة وتسعين باباً، منها ما يتعلق بالبديع كالتجنيس والتطبيق، ومنها ما يتعلق بعلمي المعاني والبيان كالاسهاب والاطناب، والاستعارة والكناية. غير أن أسامة لايمايز بين تلك الفنون البلاغية على نحو مانعرفه اليوم، بل جاء بها متداخلة تحت اسم «البديع». وكان الاختصار هو السمة البارزة على تعريفات الكتاب، في حين أكثر من استخدام الشواهد من أقوال العرب وأشعارهم كثرة واضحة، وبخاصة المناقلة بين ارسطاليس والمتنبي، فقد ذكر أربعة وتسعين شاهداً، وكأنه يريد أن يحصي على المتنبي ما أخذه من أقوال الحكيم، ليتيح لقارئه معرفة أفانين مقدرة المتنبي على الصياغة المعجزة، أكثر

من الابانة عن سرقاته، فكان هدفه تعليماً وتقويماً. والغاية من ذلك كله هو تربية الذوق الفني، وتنمية الحس النقدي، وتحسين الأداء بالاقتداء. أما شواهده من شعر آل منقذ فهو أقل بكثير مما أورده في سائر كتبه، كما أنه لم يذكر سوى بيتين من شعره في باب الظرافة والسهولة[١].

وقد أثار كتاب البديع اهتمام بعض العلماء، فتعرضوا له بالإشارة أو النقد، وأبرز من أشار إليه منتقداً ابن أبي الأصيبع في كتابه «بدائع القرآن»[٢]. ولبديع أسامة مختصر بعنوان «مختصر مقدمة الشعر» ذكره بروكلمان في تاريخه ولكنه لم يذكر صاحب المختصر[٣].

وكتاب البديع مطبوع في القاهرة بتحقيق أحمد أحمد بدوي وحامد عبد المجيد عام ١٩٥٣، وله طبعة ثانية في بيروت عام ١٩٨٣ بطريقة التصوير. ثم أعاد تحقيقه عبد آ علي مهنا وطبعه في بيروت عام ١٩٨٧ زاعماً أن بين الطبعتين المصرية واللبنانية اختلافاً واضحاً، ناهيك عن الفروقات الأخرى في العبارات والألفاظ[٤].

وأرى- بعد مقارنتي لأربع صور خطية مع نصها المطبوع- أن الطبعة اللبنانية تفتقر إلى الدقة والأمانة العلمية، وفيها ومضات من روح المغامرة والمتاجرة بالتراث.

١- البديع في نقد الشعر: ١٣٨.
٢- ديوان أسامة- المقدمة: ١١.
٣- تاريخ الأدب العربي ٦: ٢٢.
٤- البديع في البديع- المقدمة: ١٢.

ديوان أسامة بن منقذ

أجمع أصحاب التراجم وأهل الأدب على مقدرة أسامة الشعرية، فقد أوتي من فضيلة البيان وروعة الإحسان ما يجعله في مقدمة شعراء عصره الذين أعادوا للشعر بهاءه الساطع ورواءه القديم شكلاً ومضموناً، وربما يفوقهم بسبب مسحة الجلال والوقار اللذين نلمحهما في معظم قصائده ومقطعاته. ولقد ترفع عن رفث المقال ومنن الرجال وفق تعبيره، وجعله وقفاً للمعالي والفضائل الحميدة والمآثر الخالدة. فجاء انعكاساً لحياته ومشاعر وجدانه، واحداث عصره، وتعبيراً صادقاً عن تجربته الطويلة في دنيا الناس، وصورة موحية لسيرته ومسيرته.. في شتى أحواله، في ساعة الأمن وهبوب المخاطر. ونوازع القهر والشوق.. في المنشط والمكره، والضعف والقوة، في دار الإقامة ومواطن التشرد والاغتراب، إذا قرأته ملك عليك لبّك، وراعتك جزالته حيناً، ورقته حيناً آخر، وصدقه في أكثر الأحايين. وكان ديوان شعره مشهوراً في حياته، ويذكر أبو شامة في كتاب الروضتين أن ديوان أسامة كان عند الناصر صلاح الدين، وهو به مشغوف[1].

وقد جمع أسامة ديوانه بنفسه، ورتبه على حسب الأغراض الشعرية، بعد أن هذبه وشذبه، فأثبت منه ما أثبت، وحذف منه ما حذف، وجعله مشتملاً على ستة

١- كتاب الروضتين ١ : ١٤٧.

أبواب هي : الغزل، الأوصاف، الملح، المديح، الأدب، المراثي، وكل باب مرتب على حسب حروف المعجم، وبهذا سهُل على دارسي شعره تناول ما يقصد منه .

غير أن الديوان بقي مفقوداً أو هو بحكم المفقود، حتى قام المستشرق ديرنبورغ بنشر منتخبات منه عام ١٨٩٣ مع مختارات من كتاب العصا . وما كادت دار الكتب المصرية تمتلك نسخة الديوان الخطية حتى بادر أحمد أحمد بدوي وحامد عبد المجيد إلى تحقيقه وطبعه في القاهرة عام ١٩٥٣، ثم نشر ثانية بطريقة التصوير في بيروت عام ١٩٨٣ دون أية إضافة .

ويعترف المحققان أن لأسامة شعراً متفرقاً في كتبه مما لم يرد في ديوانه، فلم يثبتا منه شيئاً، وكان جديراً بهما أن يجمعاه، ويلحقاه بديوانه جرياً على عادة المحققين في استدراك ما فات .

وللمؤرخ الحموي أحمد قدري الكيلاني محاولة في جمع ماتفرق من شعر أسامة في كتب الأدب والتاريخ، وأثبتها في كتابه المخطوط عن أسامة، فبلغ عدد أبيات مجموعه ثلاثمائة واثنين وستين بيتاً مما لم يرد في ديوان أسامة[1] .

كما قام كاتب السطور وجمع من شعر أسامة ما تعداده خمسمائة وسبعة وعشرين بيتاً، وسماه «الملتقط من شعر أسامة بن منقذ مما لم يرد في ديوانه المطبوع» . ومن المؤكد أن هناك أشعاراً لأسامةما تزال غائبة ومتناثرة في تضاعيف كتب أسامة الضائعة .

ويستفاد مما كتبه الباحث حسن عباس عن أسامة، أن هناك نسخة خطية في «كتابخانة مجلس شوراي طهران» تحت رقم ٣٢٢ طباطبائي، كتبت في حياة

---

١ - أسامة بن منقذ (خ) : الورقة ٦٧ .

أسامة، ويرجح أنها بخطه بسبب التشابه بينها وبين نسخة المنازل والديار المكتوبة بخط أسامة. وقد رتب أسامة شعره فيها على القوافي، فجاءت القصائد كاملة غير ممزقة كما هو الحال في النسخة المهذبة المطبوعة، كما التزم فيها أسامة التقديم لقصائده بذكر الأمكنة التي قيلت فيها، والأشخاص الذين تحدث عنهم، ممتدحاً أو مطارحاً أو معاتباً. وأرخ لكثير من قصائده مما يساعد على معرفة التطور الشعري عند أسامة[1]. ونحن ما نزال ننتظر أن ترى هذه النسخة النور علي يد محبي شعر أسامة، ومقدري فنه وبطولته.

١- أسامة بن منقذ ١ : ١٦٥ وما تلاها.

الفصل الثاني

الكتب المخطوطة أو المفقودة

التاريخ البدري

ذكر أسامة التاريخ البدري في كتاب العصا، عندما أورد مقولة الحجاج لأنس ابن مالك، وهي: والله لأقلعنّك قلع الصمغة، ولأعصبنّك عصب السلَمة، ولأجردنّك جرد القضيب، ولألحونّك لحو العصا. ثم عقّب صاحب كتاب العصا قائلاً: وقد ذكرت الخبر بتمامه في كتابي المترجم بالتاريخ البدري[1].

كما ذكره في مقدمة كتابه «مختصر مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب».. وفيه إشارة إلى أن التاريخ البدري يشتمل على ذكر فضائل أهل بدر[2].

وذكره الذهبي في السير بقوله: وصنّف كتباً منها التاريخ البدري[3].

ويوضح المقريزي في كتاب المقفى: أن كتاب البدري فيه ذكر أهل بدر، وعدتهم، وأسماؤهم وأنسابهم وأحوالهم. وذكر مغازي النبي صلى الله عليه وسلم، وجميع أحواله من أول أمره إلى آخره، واستقى ذلك فجاء في خمس مجلدات كبار مرتبة على حروف المعجم[4].

وهذا يعني أن أسامة استوعب السيرة النبوية إلى جانب أصحاب بدر، في حين يذكر الذهبي في تاريخه أنه يجمع أسماء من شهد بدراً من الفريقين.

١- كتاب العصا: ٣٠٦.

٢- المنازل والديار: ٥١.

٣- سير اعلام النبلاء ٢١: ١٦٦.

٤- الاعتبار (طبعة الرياض): ٢٣٥.

وقد توهم فيليب حتي وسماه «التاريخ البلدي» في مقدمته لكتاب الاعتبار[1]، والصواب ما ذكرناه آنفاً. كما تزعم السيدة قمركيلاني في كتابها عن أسامة بن منقذ أن التاريخ البدري من الكتب التي نسبت إليه[2]، ولم تكلف نفسها عناء البحث والتأكد من صحة هذه النسبة أو عدمها.

---

١ - الاعتبار (طبعة برنستون)- مقدمة المحرر: ق.

٢- أسامة بن منقذ: ١١٨.

فضائل الخلفاء الراشدين

ذكره أسامة في كتابه «لباب الآداب» في معرض حديثه عن أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب رضوان الله عليه بقوله: وقد ذكرت شيئاً من حروبه ووقعاته في كتابي المترجم بكتاب «فضائل الخلفاء الراشدين» رضي الله عنهم(١).

كما ذكره المقريزي في كتاب المقفى(٢).

ومن الواضح أن أسامة قد أتى في كتابه على سيرة الخلفاء الراشدين بالتفصيل، قبل البعثة النبوية وبعدها، معدداً أحوالهم وأعمالهم ومشاركاتهم في الغزوات وأيام الردة وفي حركة الفتوح، وما كان لهم من فضائل ومناقب، ومفاخر ومآثر، وكلمات مضيئة، وأحكام صائبة، ومواقف خالدة.

---

١ - لباب الآداب: ١٧٣

٢ - الاعتبار طبقة الرياض): ٢٣٦

كتاب أخبار النساء

أتى أسامة على ذكر كتاب أخبار النساء في كتابه المنازل والديار، عندما روى قصة بيهس بن صهيب ومحبوبته صفراء، جاء فيه قوله: وقد أوردت أخباره وأشعاره في صفراء في كتابي المترجم بكتاب أخبار النساء[1]. كما ذكره في كتاب العصا مرتين، الأولى عندما تحدث عن هجاء بشر بن أبي خازم لأوس بن لأم، ونيله من أمه سعدى، حتى إذا ظفر به أوس في بعض حروبه، حكّم أمه فيه، فقالت: أطلقه وأحسن إليه، فلا يغسل هجاءه عنك إلا مدحه إياك. والثانية عندما أورد قصيدة الحطيئة في مدح بغيض بن بدر وقومه بني أنف الناقة[2].

ويذكر المقريزي في كتاب المقفى عندما ترجم لأسامة أنه «بدأ فيه بحواء، وذكر أم موسى ومريم بنة عمران وأخبارهن، وأمهات العرب والأخوات والزوجات والبنات المنجبات، والنساء التي سارت بذكرهن الأشعار، واستقصى أخبار الجميع وأشعارهن، وما قيل فيهن». وهذا النص الذي أورده المقريزي يؤكد اطلاعه على كتاب أخبار النساء. واستيعاب ما فيه[3].

ولعل ما ذكره أسامة في كتاب الاعتبار عن شجاعة النساء وحميتهن، وحبّه لافتدائهن من أسر الفرنجة يدل على المنزلة الرفيعة التي تحتلها المرأة في أدبيات أسامة، وتبرهن على مدى اهتمامه وإعجابه بها. ويعزز ذلك ما أورده في كتاب

١- المنازل والديار: ١٦٦.

٢- كتاب العصا: ٢١٧- ٣٠٠

٣- الاعتبار (طبعة الرياض): ٢٣٥.

المنازل والديار من شعر نساء العرب في الجاهلية والاسلام من شواعر وقينات في أكثر من عشرين موضعاً، وفي هذا دليل على سعة اطلاعه، وغزارة محفوظه من أشعار نساء العرب وأخبارهن. وإن منهن المشهورة كالخنساء وليلى بنت طريف، والمغمورة كفاطمة بنت الأحجم وأم صريم الكندية.

تاريخ أيام أسامة بن منقذ

أشار ياقوت الحموي في معجم الأدباء عند ترجمته لأسامة إلى «تاريخ أيامه»، كما أشار إليه الصفدي في الوافي بالوفيات نقلاً عن ياقوت، ولم أجد ذكر هذا التاريخ في أي مرجع سواهما[1]. وقد وجدت نفسي- بادي الأمر- تميل إلى القول: إن هذا التاريخ هو كتاب الاعتبار نفسه، لما اشتمل عليه من سيرة ذاتية تتعلق بحياة أسامة. غير أني وقعت على عدة نصوص نقلها ابن واصل الحموي في كتابه «مفرج الكروب» عن أسامة من كتاب ألّفه، ولم يذكرلنا اسمه، ولو ذكره لأراحنا من هذا العناء. ولدى مقارنة هذه النصوص بما ورد في كتاب الاعتبار تبين لي أنه لاعلاقة لها بكتاب الاعتبار، وأن ما جاء فيها من أخبار عماد الدين زنكي وولده نور الدين محمود، ووقوف أسامة على الأحداث التي جرت في عهديهما هي مادة تاريخية بحتة، لاتهدف إلى استخلاص العبرة على غرار ما قصده أسامة عند تأليف كتاب الاعتبار.. من أن الموت لايقدمه ركوب الخطر، ولايؤخره شدة الحذر.. بل كان وكده تدوين الأحداث كما رآها بوصفه شاهداً عليها، وهي جزء من تاريخ أيامه. وسوف يظل هذا الافتراض قائماً حتى يثبت لي خلافه[2].

١- معجم الأدباء ٥ : ٢٠٨، الوافي بالوفيات ٨ : ٣٨٢.
٢- مفرج الكروب ١ : ٥٠- ٩٩- ١٠٩- ١١٤- ١٢٧.

تاريخ ابن منقذ أو أخبار أهله

ذكره أبو الفداء في تاريخه، وكان واحداً من المصادر الكثيرة التي اعتمد عليها عند تأليف المختصر. فقد نقل عنه أخبار بني منقذ منذ قيام جدّ أسامة سديد الملك علي بن مقلّد بعمارة حصن الجسر لحصر حصن شيزر سنة ٤٦٨ هـ إلى أن أودت الزلازل بأهله جميعاً سنة ٥٥٢ هـ[١].

ولقد رجعت إلى كتاب الاعتبار فلم أجد فيه النص الذي ذكره أبو الفداء، أو ما يشاكله، وربما كان في القسم المفقود من كتاب الاعتبار، أو أن كتاباً لأسامة رآه ياقوت الحموي في «أخبار أهله» هو المقصود بتاريخ ابن منقذ، أو تاريخ مؤيد الدولة أسامة بن مرشد كما يروق لأبي الفداء أن يسميه في المختصر[٢]. وقد ذكره الصفدي في عداد مؤلفات أسامة نقلاً عن ياقوت[٣]. أما المقريزي فلم يشر إليه في قائمة مؤلفات أسامة عند ترجمته له في كتاب المقفى.

١- المختصر ٣ : ٣١

٢- المرجع السابق

٣- الوافي بالوفيات ٨ : ٣٨٢، معجم الأدباء ٥ : ٢٠٨.

كتاب أخبار البلدان

تفرد الذهبي في تاريخه بذكر كتاب «أخبار البلدان» في مدة عمره، ولم أقع له على ذكر في أي مرجع سواه. غير أن ثمة إشارتين وردتا في كتابين هما: تاريخ ابن الفرات، والإشارات إلى معرفة الزيارات لأبي الحسن الهروي ٦١١هـ.

ففي الأول نجد أن ابن الفرات ينقل من كتاب صغير لأسامة ذكرٍ فيه من أدركه في عمره من ملوك البلاد. أما الثاني- أعني الهروي- فيسجل ما سمعه من ابن منقذ حول وجود اثني عشر ألف مسجد في الاسكندرية.

ولعل هاتين الإشارتين تؤكدان ما ذهب إليه الذهبي في تاريخه[١].

١- أسامة بن منقذ ٢: ٢٥٧ والملحق رقم ٩: ٢٧٨.

تاريخ القلاع والحصون

اهتم أسامة بتاريخ القلاع والحصون بحكم تنقلاته الكثيرة في بلاد الشام ومصر والعراق وديار بكر، ومشاركاته في العمليات العسكرية التي خاضها ضد الفرنجة أيام الحرب، وسفاراته السياسية أيام السلم، وفي فترة الصراعات على السلطة. ونجد هذا الاهتمام واضحاً في بعض قصائده التي كان يشيد فيها بانتصارات نور الدين محمود على أعدائه. وقصيدته الرائية في ديوانه المطبوع «أبى الله إلا أن يكون لنا النصر» تضم وحدها أكثر من عشرين قلعة أو حصناً أو موضعاً[1]. وهذا ما دفعه إلى تصنيف كتاب تاريخ القلاع والحصون الذي يمكن أن نعدّه من أهم الكتب التاريخية والجغرافية بسبب معاينة أسامة لها، أو مساهمته في حصارها، أو الإقامة فيها. وإن تخصيصها بكتاب ذي وحدة موضوعية يضفي صفة التوثيق على مفردات مضمونه. وهذا التاريخ- أعني تاريخ القلاع والحصون- كان معروفاً بعد أيام أسامة على مدى ثلاثة قرون على الأقل. فقد أشار إليه أبو الفداء في تقويم البلدان عندما تحدث عن حصن المرقب وبانياس، وأتى على ذكره المقريزي في كتاب المقفى، وسماه «كتاب المدن والحصون»، في حين يسميه أبو الفداء «تاريخ القلاع والحصون»[2].

وأرى أن تسمية أبي الفداء هي الصحيحة، فقد استقى منه بعض مادته في تقويم البلدان. ورجع إليه عند إعداده، مما يسبغ على التقويم أهمية خاصة، وهي حفظه لبعض النقول من كنوزنا التراثية التي ضاعت أصولها، وما أكثر ما ضاع من تراث العرب الضخم. . !!

١- ديوان أسامة: ٢٥١ وما تلاها.

٢- تقويم البلدان: ٢٥٥، الاعتبار (طبعة الرياض): ٢٣٦.

كتاب الشيب والشباب

يذكر ياقوت الحموي أن أسامة ألف كتاب الشيب والشباب لأبيه، ونحن نعلم أن وفاة أبيه كانت سنة ٥٣١ هـ، وهذا يعني أن كتاب الشيب والشباب قد ألفه بعد أن بلغ قمة الأربعين، وبدأ زحفه نحو الخمسين، وهي السنّ التي يبدأ فيها فصل الشباب بالانحسار، وتبدأ هجمة المشيب بالتقدم والدخول في خريف العمر مع بداية الاكتهال والاكتمال. في حين يذكر الصفدي في الوافي بالوفيات أنه ألفه لابنه، ويبدو لي أن ذلك من تصحيف الناسخ أو خطأ الطابع. ويسميه بركلمان في تاريخه «الشيخ والشباب»، والصواب ما ذكره ياقوت في معجمه[١].

وقد أتى أسامة على ذكر كتاب الشيب والشباب في كتابه «لباب الآداب» في معرض الحديث عن بليغ ما قبل في الشيب[٢]. ويشتمل الكتاب على كثير من شواهد البيان، مما قيل في الشيب والخضاب والشباب، وقد جاء مرتباً على سبعة فصول.

ويبدو أن أسامة في كتابه قد أراد أن يحذو حذو الشريف المرتضى صاحب كتاب «الشهاب في ذكر الشيب والشباب»، فحشد في كتابه ما يحفظه من أدب العرب، وأشعار آل بيته. ولعله أورد شيئاً من شعره على غرار ما فعله في سائر

١- معجم الأدباء ٥ : ١٨٢، الوافي بالوفيات ٨ : ٣٨٢، تاريخ الأدب العربي ٦ : ٢٥.
٢- لباب الآداب : ٣٧٧.

كتبه . ويرى أسامة أن الفضلاء إذا وقفوا على كتاب المرتضى سوف يعلمون أن الفضل للمقدَّم في البيان، لا في التقدُّم في الزمان[٣] .

وهذا الاطراء الذي أسبغه أسامة على نفسه، والنقد الذي لحق بكتاب المرتضى، لايخفى بريقهما على البصير الحصيف .

٣- لباب الآداب : ٣٧٨ .

استدراك المرتاب

يذكر المقريزي في كتاب المقفى أن أسامة ألحق بكتاب الشيب والشباب كتاباً آخر سماه «استدراك المرتاب»، ونحن لا نملك أية معلومات إضافية سوى ما ذكره المقريزي في كتابه عند ترجمته لأسامة[1].

أقول: لعل أسامة قد قصد من هذا الاستدراك ما يعزز قيمة كتابه السابق «الشيب والشباب»، ويدفع عنه كل مأخذ أو شبهة أو ارتياب في صدور الذين قد يزعجهم ترجيح كتابه على كتاب الشريف المرتضى «الشهاب في ذكر الشيب والشباب» وحقُّه في التقديم، مع احترامه لمكانة المرتضى الدينية والعلمية.

١ - الاعتبار (طبعة الرياض): ٢٣٥.

كتاب التأسّي والتسلّي

ذكره أسامة في كتابه «لباب الآداب» مرتين، الأولى في باب الأدب- فصل الصبر. والثانية في باب البلاغة. كما ذكره المقريزي في كتاب المقفى[1].

وهذا الكتاب- كما يدل عليه عنوانه- يشتمل على موضوعين اثنين، أحدهما متعلق بالآخر، وهما التأسي أولاً، والتسلي ثانياً. ومن الواضح أن الزلزال الرهيب الذي أودى بحياة أهله جميعاً في شيزر كان دافعاً له على جمع مادته وتصنيفه، على غرار ما فعل بكتاب المنازل والديار، وكأنه أراد أن يكون هذا الكتاب تأسية وتسلية له ولغيره وللأجيال من بعده، ممن تخترم أحبابهم المنايا، وتصعقهم الكوارث وأحداث الزمان.

ويستفاد من كتاب «لباب الآداب» أن منهجه في التأسي والتسلي لايختلف عن المنهج الذي عرفناه في كتابيه «المنازل والديار» و«لباب الآداب»، فهو يعتمد فيه على ايراد طائفة من آيات الكتاب الكريم، والأحاديث الشريفة، وأقوال الحكماء، وأشعار العرب وأخبارهم. وجملة من مراثيهم وتعازيهم، والكتاب يتسم بالتطويل ايفاء للغرض الذي صنّفه من أجله.

١- لباب الآداب: ٢٩٤- ٤١٠، الاعتبار (طبعة الرياض): ٢٣٦.

كتاب النوم والأحلام

أشار أسامة في كتاب الاعتبار إلى واحد من مؤلفاته، وهو كتاب «النوم والأحلام» عندما أتى على ذكر شيء من غريب الأحلام. وهذه الإشارة تتضمن ماشتمل عليه هذا الكتاب من أقوال وأحوال. إذ جاء في الاعتبار قوله: وقد أوردت في كتابي المترجم بـ «كتاب النوم والأحلام» من ذكر النوم والأحلام، وما قيل فيها، وفي أوقات الرؤيا، وفي أقوال العلماء فيها، واستشهدت على أقوالهم بما ورد فيها من أشعار العرب[1].

ولعل هذه الإشارة توضح لنا المنهج الذي أخذ به أسامة نفسه عند تصنيف كتابه، وهو لايختلف عن سائر مصنفاته الأدبية التي حرص فيها على ب التبويب، ودقة الاختيار، مع مراعاة القصد.

وهذا الكتاب لم يشر إليه واحد من أصحاب التراجم باستثناء المقريزي الذي أورد ذكره في كتاب المقفى[2].

١ - الاعتبار (طبعة برنستون): ٢٤١

٢ - الاعتبار (طبعة الرياض): ٢٣٦.

كتاب أزهار الأنهار

ذكره ابن العديم في بغية الطلب، ونقل عنه. وذكره المقريزي في كتاب المقفى.. وقال: فيه صفة الجنة ومنافع اللبن ومضاره. كما ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون، واسماعيل باشا البغدادي في هدية العارفين[1].

ولعل ما نقله ابن العديم، وماذكره المقريزي يجعلنا نرجح أن الكتاب ثنائي في موضوعه، فالأول ديني يدور حول الجنة التي وعد بها المتقون، وما فيها من نعيم مقيم، وحور وولدان، وأزهار وثمار، وأنهار من عسل مصفى لذة للشاربين. والثاني اجتماعي وتربوي يتناول حالات الرضاع. وتأثير اللبن على الطفل وسلوكه، كما يتناول أخبار المراضع.

ويرى الباحث حسن عباس أن كتاب أسامة يدور حول الأنساب أو علوم الدين، معتمداً على نصين أوردهما ابن العديم، الأول يتعلق برضاعة أسامة من امرأة أربت على الستين، وكانت معروفة بغزارة لبنها. والثاني يتعلق بشفاعة امرأة لدى سلطان اليمن، وكانت له مرضعة ومربية، فقبل شفاعتها.

وهذان النصان يؤيدان ما ذهبنا إليه بقوة، ويعضدهما ما قاله المقريزي ولايقتربان مما رآه الباحث حسن عباس إلا قليلاً.

أما الباحث العراقي صبري محمد حسن فقد ذهب بعيداً، وجافى الصواب، عندما عدّ كتاب أزهار الأنهار من الكتب الجغرافية[2].

١- أسامة بن منقذ ٢ : ٢٨٦- ٢٨٧ انظر الملحق رقم ١٧ والملحق رقم ١٨، الاعتبار (طبعة الرياض): ٢٣٦، كشف الظنون ١ : ٧٢، هدية العارفين ١ : ١٩٦ بغية الطلب ٣ : ١٣٦١.

٢- أسامة بن منقذ ٢ : ٢٥٨.

ردع الظالم وردّ المظالم

ذكره أسامة في كتابه «لباب الآداب- فصل التحذير من الظلم» وفيه يقول: هذا فصل يتعين اتساع القول فيه لحاجة الناس إلى الكف عن الظلم، غير أنني قد أوردت في كتابي المترجم بكتاب «ردع الظالم وردّ المظالم» منه ما غنيت به من الإطالة[١].

وقد أشار إليه المقريزي في كتاب المقفى، ويسميه بروكلمان في تاريخه «درء الظالم وردّ المظالم»، ولعل في الأمر خطأ مطبعياً أو نسخياً[٢].

لباب الآداب: ٣١١.

٢- الاعتبار (طبعة الرياض): ٢٣٦، تاريخ الأدب العربي ٦: ٢٥.

نصيحة الرعاة

أشار أسامة إلى هذا الكتاب في مختصر مناقب عمر بن عبد العزيز، فقد جاء في مقدمته قوله: وكنت قد أوردت عن مناقبه وورعه، وحسن سيرته وزهده في كتابي المترجم بكتاب «نصيحة الرعاة». والمقريزي يذكره في كتاب المقفى مع عدة من مصنفاته[1].

---

١ - المنازل والديار (طبعة القاهرة): ٥١، الاعتبار (طبعة الرياض): ٢٣٥.

التجائر المربحة والمساعي المنجحة

ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون، واسماعيل باشا البغدادي في هدية العارفين، ويسميه المقريزي في كتاب المقفى باسم «التجارة المربحة»، والصواب ماذكره صاحب كشف الظنون[1].

١ - كشف الظنون ١ : ٣٤٤، هدية العارفين ١ : ١٩٦ ، الاعتبار (طبعة الرياض): ٢٣٦ .

ذيل يتيمة الدهر

نلحظ في كتب أسامة- وبخاصة المطبوعة- اهتماماً خاصاً بالشعر والشعراء، فقد أكثر من ايراد أخبار الشعراء، واستشهد بالعديد من أشعارهم في كتبه المختلفة، وهذا الاهتمام قاده إلى تصنيف بعض المنتخبات مثل «المنتخب في أشعار العرب»، كما اهتم بمعاصريه فصنّف كتابه «المختار من محدث الأشعار». ولم يكتف بذلك بل ذيّل على واحد من مؤلفات من سبقه من الأدباء، فقد ذكر له ياقوت الحموي في معجمه «ذيل يتيمة الدهر»[1]، وكان أبو منصور الثعالبي (٤٢٩) هـ قد ترجم لرجالات عصره من شعراء وأدباء وأصحاب بلاغة وفق أقاليمهم، ولم يكن الثعالبي بدعاً في ذلك، بل سبقه آخرون أمثال المبرد (٢٨٦) هـ في كتاب «الروضة»، وهارون بن علي بن المنجم (٢٨٨) هـ في كتاب «البارع»، وابن المعتز (٢٩٦) هـ في كتاب «طبقات الشعراء المحدثين». فأحب الثعالبي أن يحذو حذوهم، وأن يكون لشعراء عصره كتاب مماثل، فصنّف «يتيمة الدهر».

ثم عمد بعد ذلك إلى تأليف ملحق له، أسماه «تتمة اليتيمة». غير أن شهرة «اليتيمة» قد استفاضت في حياة مؤلفها وبعد مماته، في حين بقي كتاب «تتمة اليتيمة» مهملاً.

ولعل كثيراً من الأدباء نهجوا نهج الثعالبي، ونسجوا على منواله، مثل الباخرزي (٤٦٧) هـ في «دمية القصر»، والحظيري (٥٦٨) هـ في «زينة الدهر»،

١- معجم الأدباء ٥: ٢٠٨.

والعماد الأصفهاني (٥٩٧) هـ في «خريدة القصر» . . وكلها تعد متممة لليتيمة ودائرة في فلكها .

ويمكن أن نعد كتاب أسامة واحداً من هذه التتمات المستحسنة بسبب الامتياز الأدبي الذي يتمتع به أسامة ، إضافة إلى حسن التذوق والتفوق في اختيار النصوص ، وقد توهم الذهبي فذكر أن أسامة ذيّل على «خريدة القصر للباخرزي» ، وعنه نقل يحيى بن أبي طي صاحب تاريخ الشيعة . والذهبي أخطأ في اثنتين ، الأولى في تسمية الذيل ، والثانية في نسبة الخريدة إلى الباخرزي . أما الصفدي فقد نقل عن ياقوت ، وكان أميناً في نقله ، في حين لم يذكر المقريزي «ذيل يتيمة الدهر» في قائمة مؤلفات أسامة عندما ترجم له في كتاب المقفى[1] .

١- مصادر التراث والبحث : ١٧٨ ، الوافي بالوفيات ٨ : ٣٨٢ ، أسامة بن منقذ ١ : ١٥٦- الحاشية رقم١٠ .

المختار من محدث الأشعار

أول من أشار إلى هذا الكتاب هو ياقوت الحموي، وأثبت منه في معجمه خمسة أبيات لسديد الملك علي بن مقلّد، وسماه «مجموع أسامة»، في حين يسميه الصفدي في الوافي بالوفيات باسم «مجموع أشعار المحدثين»، أما المقريزي في كتاب المقفى فيسميه «المختار من محدث الأشعار»[1]. ولعل هذه التسمية الأخيرة هي الأصح، لانسجامها ومقاربتها للأسلوب الذي درج عليه أسامة في تسمية عدد من مؤلفاته، حيث كان السجع هو السمة الغالبة عليها.

١- معجم الأدباء ٥ : ٢٢٥، أسامة بن منقذ ٢ : ٢٩٣- الملحق رقم ٢١ نقلاً عن الوافي بالوفيات، الاعتبار (طبعة الرياض): ٢٣٦.

مجموع أسامة إلى الرشيد بن الزبير

الرشيد بن الزبير شاعر من أسوان، تربطه بأسامة علاقة مودة، وبينهما مطارحات شعرية، ومكاتبات وردت في ديوان أسامة، وفي كتاب «المنازل والديار». ولقد سأله الرشيد بن الزبير عن جماعة من الشعراء ليلحقهم بكتابه «جِنان الجَنان ورياض الأذهان»، فكتب إليه أسامة ما أراد، وضمن كتابه مجموعة من أشعارهم وأخبارهم.

وقد ذكر هذا المجموع ابن خلكان في أكثر من موضع، كما ذكره ابن الصابوني في تكملة إكمال الاكمال عند حديثه عن أبي نصر التميمي المعروف بالدميك الحلبي. ويذكر المقريزي في كتاب المقفى كتاباً لأسامة فيه شعر جماعة سأله ابن الزبير عنهم، أما ابن العديم فقد نقل منه مرات عديدة[1].

١- وفيات الأعيان ١- الترجمة ٦٥ والترجمة ٨٤، وانظر أيضاً ٣- الترجمة ٤٨٣، ٥: ١٣٢، الاعتبار (طبعة الرياض): ٢٣٦، أسامة بن منقذ ٢: ٢٩٤، بغية الطلب ٣: ١١٥٨- ١٢٨٢ و٥: ٢٢٤٠ و١٠: ٤٣٢٢.

الفصل الثالث

مؤلفات تفرّد بذكرها المقريزي

هناك جملة من مؤلفات أسامة ذكرها المقريزي متفرداً في كتاب المقفى، ولم أقف عليها في أي مرجع سواه. ونحن لانملك أية معلومات عنها غير ما ذكره المقريزي في كتابه [1] وهي:

- كتاب تاريخ ذكر الحوادث من أول الهجرة إلى زمانه مختصر.
- كتاب مكارم الأخلاق: في عشرين مجلداً، صنّفه في عشر سنين مدة إقامته في مصر.
- كتاب نزهة الناظر في إملاء الخواطر.
- كتاب رسائل السائل: ويتضمن الأدعية والأوقات وما ورد فيها.
- كتاب زجر عمرو بن بحر الجاحظ: وفيه النهي عن الزنا واللواط والفواحش.
- كتاب المحاسن.
- كتاب البشارة.
- كتاب الحنين إلى الأوطان.
- كتاب المكارم والكرم ورعاية الرمم.
- كتاب أمان الخائفين في الزهد.
- كتاب المماثلة في الشعر.

١- الاعتبار (طبعة الرياض): ٢٣٥- ٢٣٦ ملحق بكتب أسامة بن منقذ التي ذكرها المقريزي في كتاب المقفى المخطوط والمحفوظ في مكتبة لايدن (ج٣: الورقة ١٤٠ أ).

- كتاب الأقسام في الشعر .
- كتاب معونة المساعد على حصر الشواهد : في الشعر أيضاً .
- كتاب المنتخب من أشعار العرب .
- كتاب اختيار شعر أبي تمام .
- كتاب مختار شعر أبي نواس .

أقول : لعل الكتاب الأخير «مختار شعر أبي فراس» لا «مختار شعر أبي نواس» وذلك لتأثر أسامة الواضح بشعر أبي فراس الحمداني ، وكان يضمن شيئاً من شعره ، وربما عارضه . ولم أجد سوى نصف بيت لأبي نواس جاء تضميناً . ومن المؤكد أن أسامة كان محباً للأمير الحمداني ، وهناك أكثر من واشجة تربطهما ، فالشعر والفروسية ومكارم الأخلاق وحبّ الأدب والعرب ، كلها فضائل مشتركة تجمع بينهما ، وتجعلنا نميل إلى ترجيح أبي فراس على أبي نواس في تسمية الكتاب .

* * *

وبعد:

تلكم هي مؤلفات أسامة بن منقذ، لقد كانت ذاكرة واعية لكثير من أخبار العرب وأشعارهم وآدابهم، ومكارمهم في الجاهلية والاسلام، وإنها لتكتسب أهمية خاصة بسبب حفظها لبعض الآثار والأشعار التي فقدت أصولها، و لا أدل على ذلك من قيام بعض الباحثين في إعادة نشر ديوان النابغة من جديد، بعدما أضاف إليه كل ما وقع عليه من شعر في كتاب «المنازل والديار» مما لم يرد في ديوانه المطبوع في روما عام ١٩٥٣.

ومما يزيد من قيمة هذه المؤلفات عودة بعض الباحثين والمؤرخين وأصحاب التراجم إليها، واعتمادهم عليها، فأخذوا عنها بعض مادتهم، واستقوا منها ما يفيد مقاصدهم، ويزيدها جلاء ووضوحاً. نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر: العماد الأصفهاني في خريدة القصر، وياقوت الحموي في معجم الأدباء، وابن واصل الحموي في مفرج الكروب، وأبا شامة في كتاب الروضتين، وأبا الفداء في تاريخ المختصر وتقويم البلدان، والذهبي في تاريخه، وابن خلكان في وفياته، وابن العديم في بغية الطلب.. وغيرهم من أعلام المؤرخين.

وفي مجال الدراسة والبحث فإن هذه المؤلفات تكشف لنا جانباً مشرقا من تاريخ أسامة الأدبي والسياسي والقتالي، كما تكشف لنا فلسفته في الحياة، وماطبع عليه من مزايا وسجايا، وحسن رواية ودراية، وشاعرية أنيقة، وشاحها الصدق وشعارها الاباء.

ومن المؤسف حقاً أن تبقى معظم هذه المؤلفات ضائعة في خبايا الأقبية أو الأديرة أو البيوتات.. وفي زوايا النسيان، وهي ماتزال تنتظر الغيور الذي يميط عنها النقاب، وينفض عنها غبار العصور، ويعيدها إلى أنس الوجود محققة مدققة، زاهية باهية، وبذلك نكون قد قمنا بواجب ذكراه بعد مرور تسعة قرون على ولادته.

القسم الثالث

الملتقط من أشعار أسامة بن منقذ
مما لم يرد في ديوانه المطبوع

مرتباً حسب حروف المعجم

يضم هذا الملتقط مجموعة من أشعار أسامة بن منقذ، بعضها مقطعات مجتزأة من قصائد، وبعضها الآخر قصائد كاملة، وجميعها لم ترد في ديوانه المطبوع عام ١٩٥٣.

ومعظم أشعار الملتقط وجدتها مبثوثة في ثنايا مؤلفات أسامة المطبوعة، وأخص منها بالذكر: كتاب الاعتبار، والمنازل والديار، وكتاب العصا، ولباب الآداب، والبديع في نقد الشعر. لأن أسامة كان حريصاً على الاستشهاد بأشعاره وأشعار أهله كلما وجد الفرصة مواتية. ولو أن مؤلفاته الخطية موجودة، أو كان في مقدورنا الحصول عليها، لوجدنا الجم الغفير من شعر أسامة، ولكن هذه المؤلفات مفقودة، أو هي بحكم المفقودة، وقد أشرنا إلى ذلك من قبل.

كما وجدت باقة من أشعاره موزعة في كتب التاريخ والأدب والتراجم، فجمعت ذلك كله، وأفردت له هذا القسم من الكتاب. ولم آل جهداً في ضبطه وتخريج نصوصه، وتسمية أوزانه، وشرح الغريب من ألفاظه، وبيان المناسبة وتاريخها، وترجمة ما ورد فيه من أعلام، وتحديد المواقع الجغرافية، ثم جعلته مرتباً على حروف المعجم، ليتسنى للدارسين الافادة من هذا الملتقط. فإن أكن قد وفّقت فذلك ما كنت أبغي، وسوف يظل نشدان الكمال مطلبي. وإن كان غير ذلك، فالنقص من طبيعة البشر، والكمال لله وحده.

الهمــــزة

١

قال أسامة وهي من لزومياته :

[من البسيط]

أرجـأتْ كُتْبي إلى حين اللقـاء فـقـد   أكـدى رجـائي وزادالشـوقُ إرجـائي(١)
وألجـأتني إلى صـبـري مـوانعُ أيّـ ـ ـامي فلم يَسْلُني سـعـيي وإلجـائي
حتى أحاطتْ بي الأشـواقُ واشتملت   عليَّ واسـتـحـوذتْ من كلّ أرجـائي
فـهل سـبـيلٌ إلى قـربٍ يميطُ شـجـا   صدري . . فقد طال تبريحي وإشجائي(٢)

التخريج – خريدة القصر ١ : ٥٢٤

---

١ – أكدى : قلّ .

٢ – الشجا : ما اعترض في الحلق من عظم ونحوه . الهمّ والحزن . والإشجاء : مصدر أشجى .

٢

وقال:

[**من الطويل**]

إذا الصبُّ أشفى من جواه على شفا أتى اليأسُ مما يرتجي بشفائه
وقد زادني يأسي سقاماً فكيف بالشَّقاء لصبٍّ داؤه في دوائه

التخريج – بغية الطلب ٣: ١٣٦٥

حرف الباء

٣

وقال بعد عودته من حصن كيفا[١] إلى دمشق سنة ٥٧٠ هـ، يمدح الناصر صلاح الدين من قصيدة أولها:

[من المتقارب]

حمدتُ على طول عمري المشيبا وإن كنتُ أكثرتُ فيه الذنوبا
لأنّي حييتُ إلى أن لقيـ ـتُ بعد العدوّ صديقاً حبيبا

التخريج- كتاب الروضتين ١: ٢٦٤

عيون الروضتين ق٢: ٣٦

البداية والنهاية ١٢: ٣٣١

١- حصن كيفا: بلدة وقلعة عظيمة مشرفة على دجلة بين آمد وجزيرة ابن عمر من ديار بكر [معجم البلدان ٢: ٢٦٥].

٤

وقال :

[من الكامل]

لو سرتَ في عرض البسيطة طالباً رجلاً خبيراً بالحروب مجرّبا[١]

عانى الحروب مجاهراً ومخاتلاً طفلاً إلى أن عاد هِمّاً أشيبا[٢]

قتلَ الأسودَ ونازلَ الأبطالَ في الـ ـهيجاء واقتادَ الكميَّ المِحرَبا[٣]

لم تلقَ مثلي من يكاد يريه حُسْـ ـن الرأي ما قد كان عنه مغيّبا

وأرى مسير الألفِ تطلبُ وِتْرَها ضِمْنَ الغرائرِ فِرْيَة وتَكَذُّبا[٤]

التخريج – العصا: ٢٦٠

---

١ – البسيطة : الأرض . . وما انبسط واستوى منها .

٢ – الهم (بكسر الهاء) : الشيخ الفاني .

٣ – المحرب (بكسر الميم وفتح الراء) : صاحب الحرب والشجاع .

٤ – الوتر : الثأر . وفي البيت إشارة إلى مسير جذيمة الأبرش في ألف فارس إلى هند بنت الزبّان خاطباً، وغدرها به، وعلى العصا فرس جذيمة نجا قصير . وأسامة بن منقذ في هذا البيت يكذب الخبر . انظر كتاب العصا : ٢٤٤ وما تلاها .

٥

وقال في الغزل[١]:

[من الكامل]

نفسي الفداءُ لظالمٍ متعتِّبٍ | متباعدٍ بالهجر وهو قريبُ
قمرٌ عليه من ذوائبه دجىً | يهتزُّ منه على القضيبِ كثيبُ
يمشي وقد فَعَلَ الصِّبا بقوامه | فِعْلَ الصَّبا بالغصن وهو رطيبُ
في وجهه ماءُ الملاحة حائرٌ | فقلوبُنا الظمأى عليه تلوبُ
بلحاظه في القلبِ وقْعُ سهامه | لكنَّ تلك تطيشُ وهي تصيبُ
أشتاقُهُ وهو السوادُ لناظري | مَنْ لي بحسنِ الصبرِ حين يغيبُ؟
أحببتُ فيه اللائمين لأنَّه | يحلو لسمعي ذكرُهُ ويطيبُ
ومنحتُه كلَّ الهوى دون الورى | طراً. . وما لي من هواه نصيبُ
ومن العجائبِ فعْلُهُ بي في الهوى | ما يفعلُ الأعداءُ وهو حبيبُ
إن جارَ إذ حكَّمتُهُ في مهجتي | فالعدلُ في شرعِ الغرامِ غريبُ
والصبُّ يستحلي مراراتِ الهوى | فيه ويعذبُ عنده التعذيبُ

التخريج – أسامة بن منقذ: الورقة ٦٥

أسامة بن منقذ أو شيزر وآل منقذ: ٣٠

---

١ – أورد هذه القصيدة الشيخ طاهر النعساني في كتابه «أسامة بن منقذ أو شيزر وآل منقذ» ولم يذكر المرجع الذي استقاها منه، كما أوردها المؤرخ الحموي أحمد قدري الكيلاني في كتابه «أسامة بن منقذ» نقلاً عن ذيل العصا المطبوع في باريس ١٨٩٣. ونحن لانعلم كتاباً يحمل هذا الاسم، ولعله يعني ما نشره المستشرق هرتويج ديرنبورغ من منتخبات من كتاب العصا ومن ديوان أسامة عام ١٨٩٣ [انظر كتاب الاعتبار – مقدمة المحرر الحاشية ٢٨].

٦

وجاء في ختام ثنائه على الناصر صلاح الدين قوله :

[من المتقارب]

دعوتُ وقد أمَّن الحافظانِ وذو العرشِ ممّن دعاه قريب(١)

وقد قال سبحانَه للعبادِ سلُوني فإني سميعٌ مجيب(٢)

التخريج - الاعتبار: ١٦٦

---

١ - إشارة إلى قوله تعالى: «ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد». سورة ق - الآية ٥٠ .

٢ - إشارة إلى قوله تعالى: «وقال ربكم ادعوني استجب لكم». سورة غافر - الآية ٤٠ .

٧

وقال في ذكر الديار

[من الطويل]

دِيارٌ خلتْ من أهلهـا وتوحّشَتْ ... فليس بهـا مـرعىً لعينٍ ولا خصبُ
عـلاها البلى حتى تعـفّتْ رسـومُهـا ... وأنكرَها طرفي، فـأثبـتَهـا القلبُ[1]

التخريج - المنازل والديار: ٧٧

١ - الرسوم: آثار الديار.

٨

وقال بعد أن تجاوز الثمانين من عمره:

[من الطويل]

ألومُ الردى كم خضتُه متعرِّضاً ... له.. وهو عني مُعرض متجنِّبُ
وكم أخذتْ مني السيوفُ مآخذَ الـ ... ـحمامِ.. ولكنَّ القضاءَ مغيَّبُ
إلى أن تجاوزتُ الثمانين وانقضتْ ... بُلَهْنِيَةُ العيشِ الذي فيه يُرغب[1]
وأصبحتُ أستهدي العصا فتميلُ بي ... لضعفيَ عن قصدي كأنيَ أنكب[2]
فمكروهُ ما تخشى النفوسُ من الردى ... ألذُّ وأحلى من حياتي وأعذب[3]

التخريج- العصا: ٤٥٨

لباب الآداب: ٢٢٦

١- بلهنية العيش: رخاؤه.
٢- لم يرد في لباب الآداب. والأنكب: الذي أحد منكبيه أعلى من الآخر.
٣- في لباب الآداب: وأطيب.

٩

وقال وهو في مصر بعد خروجه من الشام:

[من البسيط]

يا مدّعي الصبرِ عن أحبابه.. وله ... دمعٌ إذا حنَّ ذكـراهم تكذّبُهُ
خلّفتَ قلبك في أرض الشآم وقد ... أصبحتَ في مصرَ يا مغرورُ تطلبُهُ
هلاّ غداةَ النوى استصحبتَه وإذا اخْـ ... ـتارَ المُقامَ.. فهلاّ كنتَ تصحبُهُ
أفردتَه بالأسى في دار غربته ... وعدتَ.. لاعدتَ.. تبكيه وتندبُهُ
هيهاتَ قد حالتِ الأيامُ بينكما ... فعزِّ نفسك عمّا عزَّ مطلبُهُ

التخريج – خريدة القصر ١: ٥١٨

١٠

وقال في مدح الملك الناصر صلاح الدين سلطان مصر والشام واليمن:

[من الكامل]

سمعتْ صروف الدهر قولَ العاتبِ ... وتجنَّبتْ حربَ المليكِ المحاربِ
وتجافت الأيامُ عن مطلوبه ... ومراده، أكرمْ به من طالبِ
هو من عرفْنَ، فلو عصاه نهارُهُ ... لرماه نَقْعُ جيوشه بغياهبِ
وإذا سطا أضحتْ قلوبُ عُداته ... تُلوى كمخراقٍ بكفّيْ لاعبِ
مَنْ ذا يناوي الناصرَ الملكَ الذي ... في كفِّه بحرا ردىً ومواهبِ
وإذا سرى خلتَ البسيطةَ لجّةً ... أمواجُها بَيْضٌ وبيضُ قواضبِ
ملكَ القلوبَ محبةً ومهابةً ... فاقتادها طوعاً بهيبةِ غاضبِ

التخريج – خريدة القصر ١: ٥٢٧

١١

وقال في الشيب :

[من الوافر]

نهـــارُ الشــيـبِ يكشفُ كلَّ ريبٍ   تكفَّلَ ســتـــرَهُ ليلُ الشــبـــاب
ينمُّ عـلى المعـــايـبِ والمســاوي   كـمـا نمَّ النصـولُ على الخـضـاب[1]
فــهل لي بعــد أن أضــحى بفــودْي   نهـارُ الشـيبِ عـذرٌ في التـصـابيَ؟

التخريج - خريدة القصر ١ : ٥٠٤

---

١ - نصل شعر الرأس نصولاً : خرج من خضابه .

١٢

وقال:

[من الكامل]

أنســــتني الأيامُ أيامَ الصِّبــــا وذهلتُ عن طيب الزمـــان الذاهبِ
وتنكَّرتْ حــــالي فكلُّ مــــآربي فيــمــا مــضى مــا هُنَّ لي بمآربِ

التخريج – خريدة القصر ١: ٥٠٤

١٣

وقال في استدعاء صديق إلى مجلس المنادمة بالموصل :

[من الكامل]

أمهذبَ الدين استمعْ من عاتبٍ ... لولا ودادُك لم يَفُهْ بعتابِ
أتطيعُ فيَّ الدهرَ وهو كما ترى ... يقضي عليَّ بفرقة الأحبابِ؟
أمللتني وجعلتَ سكرَك حُجَّةً ... ونهضتَ . . أم لم تستحلَّ شرابي؟
قسماً لئن لم تأتني متنصِّلاً ... متبرِّعاً بالعذرِ والإعتابِ
لأحرمنَّ الخندريسَ وأغتدي ... متنمِّساً بالماء والمحرابِ[1]
وتبوءُ معتمداً بإثمِ تنسُّكي ... وبعابه، أعظمْ به من عابِ

التخريج - خريدة القصر ١ : ٥٠٩

---

١ - تنمّس : اتخذ ناموساً، والناموس بيت الراهب

١٤

وقال :

[من الطويل]

تقلُّبُ أحــوال الزمـــان أفـــادني جميلَ الأسى فيما ينوبُ من الخطبِ
إذا حلَّ مـــا لايُســـتطاعُ دفـــاعُهُ فما أجملَ الصبرَ الجميلَ بذي اللبٍّ

التخريج – خريدة القصر ١ : ٥٢٣

١٥

وقال:

[من الوافر]

غـرِضتُ من الحـيـاة فكلُّ عـمـري ... تصـرَّمَ بالحـوادثِ والخطوبِ[1]
فـمـا ظفـرتْ يدي بسـرورِ يومٍ ... بغـيـر همـومِ حـادثةٍ مشـوبِ
صـبـاً كـالسكر أعـقـبـه شـبـابٌ ... تقـضَّى بالوقـائع والحـروبِ
ووافى بعـده شـيـبٌ بغـيـضٌ ... فـلا سـقـيـاً لأيامِ المشـيبِ
أراني طيـبَ لـذاتي ولـهـوي ... يعـدُّ من الجـهـالة والعـيـوبِ
وأدّاني إلى كـبـرٍ وضـعـف ... وأدواء خـفـينَ على الطبـيـبِ
إذا رمتُ النهـوضَ ظننتُ أنّي ... حملتُ ذرى الشناخب من عسيبِ[2]
فـإن أنا قـمتُ بعـد الجـهـد أمشي ... فـمـشيٌ حين أعـجلُ كـالدبيبِ[3]
تسـيّرني العـصـا هوْناً وخلفي ... مـسـيـرُ الموتِ كـالريح الهـبـوبِ
وأفنى الموتُ إخـواني وقـومي ... وأترابي فـهـا أنا كـالغـريبِ
وفـيـمـا قـد لقـيتُ ردىً ومـوتٌ ... ولـكنْ ليس قلبي كـالقلوبِ

التخريج – العصا: ٤٥٤

١- غرض: ملّ وضجر.
٢- الشناخب: مفردها شنخاب وشنخوب وهو رأس الجبل وأعلاه. عسيب: جبل بنجد في ديار بني سُلَيْم.
٣- وفي نوادر المخطوطات: فمشيي.. [انظر ج١: ٢١٣].

١٦

وقال:

[من الوافر]

أبى لي أن أُبالي بالرزايا فؤادٌ لا يروَّعُ بالخطوبِ
ونفسٌ لا تسفُّ لمستفادٍ ولا تأسى على وفرٍ سليبِ
وعلمي أنَّ ما أهوى وأخشى يزولُ بغير شكٍّ عن قريبِ

التخريج – بغية الطلب ٣: ١٣٦٩

١٧

وقال:

[من الطويل]

تنكّرني الإخـــوانُ حـــتى ثقـــاتهم   وحـــذّرني منهم نذيرُ التـــجـــاربِ
كـــأني إذا أودعتُ ســـرّيَ عندهم   رفـــعتُ بنار فـــوق أعلى المراقبِ

التخريج- معجم الأدباء ٥: ٢١٠

١٨

وقال:

[من الخفيف]

كنتُ بين الرجـــاء واليـــأس منه أقطعُ الدهرَ بين سلْمٍ وحـــربٍ
ألتـــقي عـــتـــبَه بأكـــرمِ إعـــتـــا ب.. ويلقى ذلّي بتـــيـــهٍ وعُجبِ
فـــبـــدا للمـلولِ أنّيَ لو رمـ --- ـتُ سلواً لما ســـلا عنه قلبي(١)
فـــتـــجنّى لي الذنوبَ ولا والـ --- ـلهِ.. مـا لي ذنبٌ سوى فرطِ حبي

التخريج– معجم الأدباء ٥: ٢٠٩

١- جاء في حاشية الأصل ما يلي: للملوك، هكذا في نسخة العماد الخطية [يعني العماد الأصفهاني] وصوابها باللام من الملل.

١٩

وقال في ذكر الأوطان:

[من البسيط]

أشتاق أهلي وأوطاني وقد ملكتْ دوني وأفنى الردى أهلي وأحبابي
فأستريحُ إلى رؤيا القبور ففي أمثالها حلَّ إخواني وأترابي
ولستُ أحيا حياةً أستلذُّ بها من بعدهم ولحاقُ القومِ أولى بي

التخريج - المنازل والديار: ٢٢٥

٢٠

وقال:

[من الطويل]

صديقٌ لنا كالبحر قد أهلكَ الورى ... ولم تنههم أخطارهُ عن ركوبهِ
مودّاته تحكيه صفواً، وخُبْرُها ... كمشربهِ من حوبهِ وذنوبهِ

التخريج – معجم الأدباء ٥: ٢٠٨

٢١

وقال في ضرس قلعه:

[من السريع]

وصـــاحب صـــاحـــبني في الصِّبـــا ... حـــــتى تردَّيتُ رداء المشـــــيبْ
لم يبـــدُ لي ســـتين حـــولاً ولا ... بلوتُ من أخـــلاقـــه مـــا يريبْ
أفـــســــــدَه الدهرُ ومَنْ ذا الذي ... يحـــافظُ العـــهـــد بظهـــر المغـــيبْ؟
ثم افـــتـــــرقنا لم أُصبْ مـــثلَه ... عـــمـــري، ومـــثلي أبداً لا يصـــيبْ
فـــأعـــجبْ لهـــا من فـــرقـــةٍ باعـــدت ... بين أليـــفين.. وكلٌّ حـــبـــيبْ

التخريج- خريدة القصر ١: ٥٠٠

بغية الطلب ٣: ١٣٦٦

حرف التاء

٢٢

وقال:

[من الوافر]

شكا ألمَ الفراقِ الناسُ قبلي ... ورُوِّعَ بالنوى حيٌّ وميْتُ
وأما مثل ما ضمّت ضلوعي ... فإني ما سمعتُ ولا رأيتُ

التخريج - وفيات الأعيان ١: ١٩٨

الوافي بالوفيات ٨: ٣٧٩

٢٣

وأنشد بدمشق في سنة أربع وثمانين وخمسمائة في ضرس قلعه:

[من مجزوء الكامل]

وصاحبٍ صاحبتُهُ　　ستينَ حولاً ما رأيتُهْ
حتى إذا عاينتُهُ　　عاينتُ منه ما أَبَيْتُهْ
والهجرُ فيه راحةٌ　　من كلّ مصحوبٍ قَلَيْتُهْ

التخريج – بغية الطلب ٣: ١٣٦٦

حرف الجيم

٢٤

وقال:

[من المجتث]

أفـــــــدي بـدوراً تمـالـوا ... عـــلـــى المـــلال وجُّوا
قـــــد كنـتُ أحـــسِبُ أنّي ... من هجـــرهـم لستُ أنجـــو
هـذا الـذي كـنـتُ أخـــشـى ... فـــأين مـــا كـنـتُ أرجـــو؟

التخريج - خريدة القصر ١: ٥٠٤

حرف الحاء

٢٥

قال العماد الأصفهاني: وتناشدنا بيتاً للوزير المغربي[1] في وصف خفقان القلب، وتشبيهه بظل اللواء تخترقه الريح وهو: [من البسيط]

كـأن قلبي إذا عـنَّ ادكـاركمُ ظلُّ اللواءِ عليـه الريحُ تخـترقُ

فقال الأمير مؤيد الدولة أسامة: لقد شبهت القلب الخافق، وبالغت في تشبيهه، وأربيت عليه في قولي من أبيات. هي: [من الكامل]

أحـبابنا كـيف اللقـاءُ ودونكم عـرضُ المهامـهِ والفـيافي الفـيحُ
أبكيـتمُ عـيني دمـاً لفـراقكم فكأنما إنسـانُهـا مـجـروحُ
وكـأن قلبي حين يخطر ذكـركم لهبُ الضـرام تعـاورتْه الريحُ

فقلت له: صدقت، فإن الوزير المغربي قصد تشبيه خفقان القلب، وأنت شبهت القلب الواجد باللهب، وخفقانه باضطرابه عند اضرامه لتعاور الريح، فقد أربيت بالفصاحة على ذلك الفصيح.

التخريج- خريدة القصر ١: ٥١١
معجم الأدباء ٥: ٢٠٠
مختصر تاريخ دمشق ٤: ٢٥٩
الوافي بالوفيات ٨: ٣٨٠

١- الوزير المغربي هو أبو القاسم حسين بن علي المغربي، أديب داهية، وزر لصاحب ميا فارقين. له شعر ومؤلفات. توفي سنة ٤١٨ هـ[انظر شذرات الذهب ٣: ٢١٠].

٢٦

وقال في الخضاب:

[من الكامل]

قلْ للذي خضبَ المشيبَ جهالةً: دعْ عنكَ ذا فلكلِّ صبغٍ ماحِ
أوَما ترى صبغَ الليالي كلَّما جدَّدْنَه يمحوه ضوءُ صباحِ

التخريج– خريدة القصر ١: ٥٠٥

حرف الدال

٢٧

وكتب إلى الملك الناصر صلاح الدين بعد مصاف عسقلان سنة ٥٨٣ هـ:

[من المنسرح]

تهنَّ يا أطول الملوك يدا ... في بسطِ عدلٍ وسطوةٍ وندى
أجراً وذكراً من ذلك الشكرُ في الـ ... ـدنيا.. ومن ذلكَ الجنانُ غداً
لا تستقلَّ الذي صنعتَ فقد ... قمتَ بفرض الجهادِ مجتهدا
وجُسْتَ أرضَ العدا وأفنيتَ من ... أبطالهم ما يجاوزُ العددا
وما رأينا غزا الفرنجَ من الـ ... ـملوك في عقرِ دارهم أحدا
فسرْ إلى الشام فالملائكةُ الـ ... ـأبرارُ تَلقاك ملتقىً حُمِدا
فهو فقيرٌ إليكَ يأملُ أن ... تصلحَ بالعدل منه ما فسدا
والله يعطيك فيه عاقبةَ النّـ ... ـصرِ كما في كتابه وعدا
فما حباك الورى وألهمك الـ ... ـعدلَ وأعطاكَ ما ملكتَ سدى

التخريج- كتاب الروضتين ١: ٢٣٧

٢٨

وله من قصيدة يمدح الملك الناصر صلاح الدين:

[من الطويل]

فـمـا أنتَ إلا الشـمسُ لولاكَ لـم تزلْ على مـصـرَ ظلمـاءُ الضـلالة سـرمـدا
وكـان بهـا طغـيـانُ فـرعـونَ لـم يزلْ كـمـا كـانَ لما أن طغـا وتمـرَّدا
فـبـصَّرْتَهم بعـد الغـوايةِ والعـمى وأرشـدتَهم تحت الضـلالِ إلى الهـدى

التخريج – كتاب الروضتين ١: ١٧٧

٢٩

وقال :

[من الكامل]

لما بلغتُ من الحـــيــاة إلى مــــدى … قـــــد كنتُ أهواه . . تمنّيتُ الردى

لـم يُبْقِ طـولُ العــــمــــر مني مُنّةً … ألقى بها صرفَ الزمان إذا اعتدى[1]

ضَعُفَتْ قـوايَ وخانني الثـقـتـان من … بصري وسمعي حين شارفتُ المدى

فـإذا نهـضتُ حـسـبتُ أني حـامِلٌ … جبلاً . . وأمشي إن مشيتُ مُقيّدا

وأدبُّ في كـفّي العـصـا وعـهـدتُها … في الحـرب تُحمل أسـمـراً ومـهنّدا

وأبيتُ في لين المهـــاد مـســـهّداً … قلقـاً كـأنني افـتـرشتُ الجَلْمَدا

والمرءُ ينكس في الحـيــاة وبينمـا … بلغَ الكمـالَ وتمَّ . . عـاد كـمـا بدا

التخريج– الاعتبار : ١٦١

العصا : ٤٥٧

---

١ – المُنّة : القوة . وقد تأتي بمعنى الضعف .

٣٠

وله من قصيدة يمدح الملك الناصر صلاح الدين :

[من الطويل]

أقمتَ عمودَ الدينِ حين أماله لطاغي الفرنج الغُتْمِ طاغي بني سعد
وجاهدتَ حزبَ الكفرِ حتى رددّتهم خزايا عليهم خيبةُ الذلِّ والردِّ
أفدتَ بما قدَّمتَ مَلكاً مخلّداً وذكراً مدى الأيام يُقْرَنُ بالحمد
وذكرُك في الآفاق يسري كأنّه الـ ـ ـ ـصباحُ له نَشْرُ الألُوَّةِ والندِّ

التخريج– كتاب الروضتين ١: ١٥٦

١ - الغتم (بضم الغين وتسكين التاء) مفردها أغتم : وهو من لا يفصح في كلامه .
٢ - الألوّة : العود الذي يتبخر به . ومثله الندّ .

٣١

وقال:

[من الوافر]

سقوفُ الدورِ في خَرْبَرْتَ سودٌ كستها النارُ أثوابَ الحداد

فلا تعجبْ إذا ارتفعتْ علينا فللحظ اعتناءٌ بالسوادِ

بياضُ العينِ يكسوها جمالاً وليس النورُ إلا في السوادِ

ونورُ الشيبِ مكروهٌ، وتهوى سوادَ الشعرِ أصنافُ العبادِ

وطرسُ الخطِّ ليس يفيدُ علماً وكلُّ العلمِ في وشيِ المدادِ

التخريج– خريدة القصر ١: ٥٢٦

معجم الأدباء ٥: ٢٠٦

١- خرتبرت حصن في ديار بكر، وقد أسقطت التاء لضرورة الشعر.

٢- اللحظ: باطن العين.

٣- إلا في السواد: يعني سواد العين.

٣٢

وكتب إلى ولده الأمير مرهف من حصن كيفا جواباً عن كتاب أنفذه إليه مع مستميح لم يتمكن من بلوغ مآثر برّه:

[من البسيط]

أبا الفــوارس مــا لاقــيتُ من زمني ... أشــدَّ من قــبــضــه كـفّيِ عن الجــودِ
رأى ســمـــاحي بمنذورٍ تجــانفَ لي ... عنه وجـودي به فـاجتـاحَ موجـودي
فــصـــرتُ إن هزّني جـــانٍ تعــوّد أن ... يجـني نـدايَ رآني يابسَ العــــودِ

التخريج - خريدة القصر ١: ٥٢٥

معجم الأدباء ٥: ٢٠٦

٣٣

وقال:

[من البسيط]

مع الثمانين عاث الدهر في جلَدي وساءني ضعفُ رجلي واضطرابُ يدي[1]
إذا كتبتُ فخطّي جِدُّ مضطرب كخطٍّ مرتعشِ الكفين مرتعد
فاعجبْ لضعف يدي عن حملها قلماً من بعد حطْمِ القنا في لبَّة الأسد[2]
وإن مشيتُ وفي كفّي العصا ثقُلت رجلي كأني أخوضُ الوحلَ في الجَلَد[3]
فقلْ لمن يتمنى طولَ مدَّته: هذي عواقبُ طولِ العمرِ والمُدَد

التخريج- الاعتبار: ١٦٣، كتاب العصا: ٤٠٥

خريدة القصر ١: ٥٢٩، عيون الروضتين ق١: ٢٢٤

١- في كتاب العصا: عاث الضعف.

٢- في خريدة القصر: من حملها.

٣- ورد هذا البيت في كتاب العصا محل البيت الثالث. والجلد: الأرض الصلبة.

٣٤

وقال في محبوس:

[من الكامل]

حبسوكَ.. والطيرُ النواطقُ إنّما حُبِستْ لميزتها على الأندادِ
وتهيّبوكَ وأنت مودعُ سجنهم وكذا السيوفُ تهابُ في الأغمادِ
ما الحبسُ دارُ مهانةٍ لذوي العلى لكنَّها كالغيلِ للآسادِ

التخريج- خريدة القصر ١: ٥٠٥

معجم الأدباء ٥: ١٩٨

٣٥

وكتب إلى العماد الأصفهاني وقد رحل من دمشق في خدمة الناصر صلاح الدين إلى حلب في شوال سنة ٥٧١ هـ

[من الوافر]

عـمـادَ الدينِ أنتَ لكلِّ داعٍ ... دعـاكَ لعـونه خـيـرُ العـمـادِ
تقـومُ لنصـره كـرمـاً إذا مـا ... تقـاعـدَ ذو القـرابةِ والوِدادِ
قـضى لك بالعلى كـرمُ السـجـايا ... ومـا أوتيت من كـرمِ الولادِ
أبثُّك وحـشـتي لك واشـتـيـاقي ... إليك ومـا لقـيتُ من البـعـادِ
وإني في دمـشـقَ ومن حـوتْهُ ... لبـعـدك ذو اغـتـرابٍ وانفـرادِ
ومـثلك إن تطلَّبـه خـبـيـرٌ ... بهـذا الخلق ليس بمسـتـفـادِ
أنار بك الـزمـانُ فـلا علتـه ... لفـقـد عـلاك أثوابُ الحـدادِ

التخريج – خريدة القصر ١: ٥٤٤

٣٦

وجاء في ختام مكاتبة للناصر صلاح الدين قوله:

[من الرمل]

أنا في أهل دمشق، وهمُ عددُ الرملِ، وحيدٌ ذو انفرادِ
ليس لي منهم أليفٌ وشَّجتْ بيننا الألفةُ أُسبابَ الودادِ
يحسبوني إذ رأوني وافداً قد أتاهم من بقايا قومِ عادِ
وانفرادي رَشَدٌ لي، والهوى أبداً يصرفُ عن سُبْلِ الرشادِ

التخريج – خريدة القصر ١: ٥٤٦

حرف الراء

٣٧

وجاء في مقدمة مكاتبة إلى القاضي الفاضل قوله:

[من الكامل]

وصل الكتابُ أنا الفداءُ لفكرةٍ نظمت نفيسَ الدرّ فيه أسطرا
وفضضتُه عن جونةٍ فتأرّجتْ نفحاتُه مسكاً وفاحتْ عنبرا[1]
وأعدتُ فيه تأمّلي متحيّراً كيف استحالَ اللفظُ فيه جوهرا

التخريج – خريدة القصر ١: ٥٤١

١ - الجونة: سلّة صغيرة مغشّاة بالأدم تكون عند العطارين.

٣٨

وقال في ذكر المدن:

[من البسيط]

سلِ المدائنَ عــمَّنْ كــان يملكُهــا ... هل آنستْ منهمُ من بعـــدهم خَبَرا
فلو أجــابتْكَ قــالت وهي عــالمةٌ ... بســيــرة الذاهبِ الماضي ومن غَبَرا:
أرتهمُ العبرَ الدنيا فما اعتبروا ... فــصــيَّرتْهم لقــومٍ بعــدهم عِبَرا

التخريج - المنازل والديار: ٢٤٣

٣٩

قال أسامة:

اجتاز بي الأمير السيد الشريف العالم الواعظ نظام الدين أبو المكارم حميد بن الظريف بحماة، فنزل بالقرب مني. ثم اجتمعت به بمدينة حلب، فذكرني على الكرسي بمجلسه بالجامع، وشكر وأطنب. ثم كتب إليّ رقعة عنوانها «الله قابل عذر العباد» وفي ذيلها: بعض خدمه حميد بن الظريف، وفيها هذه الأبيات:

[من الرجز]

اعفُ عن الخادم فيما قصَّرا ... من مدحك الواجبِ حين أظهرا
غرستَ فضلاً فربا وأثمرا ... شكراً.. على مرِّ المدى.. معمَّرا
لكنَّني سترته فاستترا ... سلبته النقْطَ فصار سُكَّرا

قال أسامة: فكتبت إليه:

يا أوحدَ العصر علاً وعنصرا ... وبحرَ فضلٍ بالعلومِ زَخَرا
أفحمني شكرُك عن أن أشكرا ... نثرتَ من ذكري عليَّ جوهرا
طوّقتني دراً وفاح عنبرا ... وطابَ من فيك فصار سُكَّرا

التخريج- بغية الطلب ٦: ٢٩٧٢ [ترجمة حميد بن الظريف]

٤٠

وقال وهي من لزومياته :

[من الطويل]

تناستنيَ الآجالُ حتى كأنني رذيّةُ سفْرٍ بالفلاة حسيرُ
ولمّا تدعْ مني الثمانون منّةً كأني إذا رمتُ القيامَ كسيرُ
أؤدّي صلاتي قاعداً . . وسجودُها عليَّ - إذا رمتُ السجودَ - عسيرُ
وقد أنذرتني هذه الحالُ أنني دنتْ رحلةٌ مني وحانَ مسيرُ

التخريج - خريدة القصر ١ : ٥٢٨

الاعتبار : ١٦٤

---

١ - في الاعتبار : دريئة سفر . والرذية : الناقة المهزولة من السير . وقال أبو زيد : هي المتروكة التي حسرها السفر لا تقدر أن تلحق بالركاب .
٢ - المنة : هنا القوة .

٤١

وقال في ذكر الديار:

[من الطويل]

دِيارَ الهوى حيّاً معالمكِ القَطْرُ ... وإن لم يدعْ إلا تَذَكُّرَكِ الدهرُ
عهدتُكِ أفقاً للسعود وساكنو ... ربوعكِ في أرجائكِ الأنجمُ الزُّهْرُ
وعصرُهُمُ فصلُ الربيعِ نضارةً ... فهل يرجعَنْ لي ذلك الزمنُ النضرُ
إذا مرَّ في فكري الديارُ وأهلها ... فيا ليَ من وجدٍ يجدّده الذِّكْرُ
إذا أوحشتني وحدتي بعد فقْرهم ... ولهتُ كأني قد أصابنيَ السحرُ
فكيف التأسّي والتأسّيَ فيهمُ ... ولا عوضٌ منهم ولا عنهمُ صبرُ
لقد ساءني الدهرُ الذي سرَّني بهم ... وما ظلموا.. ساؤوا قِصاصاً بما سرّوا

التخريج – المنازل والديار: ٧٨

٤٢

وقال في ذكر الدار:

[من الكامل]

يـا دارُ غــــيّرك البـلى وتحكَّمتْ ... فـــيك الخطوبُ ومـــحَّت الآثارُ
أصـبـحت تعـرفُكَ القلوبُ توهّمـاً ... ويـصــــدُّ عـنـك الأعـينَ الإنـكـارُ
لـم يُبْقِ منك الدهرُ رســمـاً مـاثلاً ... يـنـبـي بـأنّ هـنـاك كـــانـت دارُ
لهـفي على الزمنِ القـصـيـر قطعـتُه ... بك . . إنَّ أيامَ الســرورِ قــصـارُ
لم يَبْقَ منه ســوى جـوىً مـتـسـعّر ... في القلب يذكي نارَه التـــذكـارُ

التخريج- المنازل والديار: ٣٠٢

٤٣

قال العماد الأصفهاني : ووصلت منه مكاتبة إلىٰ الملك الناصر صلاح الدين في صفر سنة اثنتين وسبعين ، فقال لي القاضي الفاضل : خذها وأوردها في الخريدة والجريدة وهي :

[من البسيط]

لازلتَ يا ملكَ الاسلامِ في نعمٍ ... قرينُها المسعدان : النصرُ والظفرُ
تردي الأعادي وتستصفي ممالكهم ... وعونُك الماضيان : السيفُ والقدرُ
فأنت إسكندرُ الدنيا بنورك قد ... تضاءلَ المظلمان : الظلمُ والضررُ
أعدتَ للدهر أيامَ الشبابِ وقد ... أظلَّك المهرمان : الشيبُ والكبرُ
وجاد غيثُ نداك المسلمين فمن ... سحابه المغنيان : الدرُّ والبِدَرُ
وسرتَ سيرةَ عدلٍ في الأنام كما ... قضى بها الصادقان : الشرعُ والسورُ
فقْ بنصرٍ على الكفار إنّهمُ ... يرديهمُ المهلكان : الغدرُ والأشرُ
ثناهمُ إذ رأوا إقبالَ ملكهمُ ... إليهمُ المزعجان : الخوفُ والحذرُ
وما الفرارُ بمنجيهم وخلفهمُ ... من بأسه المدركان : السُّمْرُ والبُتُرُ
وسوف يعفو غداً منهم بصارمه ... وجيشه المخبران : العين والأثرُ
ولو رقوا في ذرى ثهلانَ أسلمهم ... لسيفه العاصمان : الحصنُ والوزرُ
قضى بتفضيله عمَّن تقدَّمَه ... ما استودع المخبران : الكتْبُ والسيرُ

---

١ - ثهلان : جبل باليمن ، وبه يضرب المثل في الضخامة والثقل ، فيقال : أثقل من ثهلان . [اانظر معجم مااستجم١ : ٣٤٧]

عــدلٌ بـه أَمِنَ الشـاءُ المهـمَّلُ أن ... يروعـه الضـاريان : الذئبُ والنمـرُ
وجــودُ كفٍّ إذا انهلّتْ تفـرّق في ... تيـارها الزاخـران : البـحـرُ والمطرُ
مكارمٌ جُمِـعتْ فـيـه توافقَ في ... تفـضـيله الأكـرمـان : الخُبْرُ والخَبَرُ
فاسلمْ وعشْ وابقَ للاسلام ماجرتِ الـ ... ـأفلاكُ والنيّرانِ : الشـمسُ والقـمـرُ
بنجـوةٍ من صروف الدهرِ يقصرُ عن ... منالهـا المفـسـدان : الخطبُ والغِيَرُ

التخريج – خريدة القصر ١ : ٥٤٥

٤٤

وكتب إلى الملك الناصر صلاح الدين من قصيدة أولها:

[من الطويل]

دِيارَ الهوى حيًّا معالمكِ القَطْرُ ... وجادك جودُ الناصرِ الغدقُ الهَمْرُ
به رجعت في عنفوان شبابها ... ونضرتها من بعدما هرمتْ مصرُ
وكم خاطبٍ ردَّته لم يكُ كُفْأَها ... إلى أن أتاها خاطبٌ سيفُهُ المهرُ
حماها حمى الليث العرينَ وصانها ... كما صانَ عيناً من ملِمٍّ القذى شَفْرُ[1]
وكان بها بحرٌ أجاجٌ فأصبحت ... ومن جوده العذبِ النميرِ بها بحرُ

التخريج - كتاب الروضتين ١: ١٧٦

---

١ - ألمّ بالقوم: نزل بهم وعليهم، وقد استعيرت لمجتمع القذى في العين. والشفر: (بفتح الشين وضمها) أصل منبت شعر الجفن.

٤٥

وكتب إلى الصالح رزّيك[1] معزياً بوفاة الخليفة الفاطمي الفائز . سنة ٥٥٥هـ، ومهنئاً بخلافة العاضد آخر الخلفاء بمصر :

[من الطويل]

هناءٌ بنعمى قلَّ عن قدْرها الشكرُ وصبرٌ لرزءٍ لايقومُ به الصبرُ
مضى الفائزُ الطهرُ الامامُ . . وقام بالـ ---إمامة فينا بعده العاضدُ الطهرُ
إمامٌ . . هدىً لله في نقل ذا إلى كرامته . . وفي إقامة ذا سرُّ
فعشْ أبداً واسلمْ لهم يا كفيلَهم تدافع عنهم كلَّ حادثةٍ تعرو

التخريج– كتاب الروضتين ١: ١٢٤

١ - هو الملك الصالح طلائع بن رزيك الأرمني وزير الدولة الفاطمية بمصر ، كان أديباً شاعراً، وبينه وبين أسامة بن منقذ مودة ومطارحات شعرية أوردها في ديوانه . قتل سنة ٥٥٦ هـ ودفن بالقرافة إلى جانب مسجده [انظر شذرات الذهب ٤ : ١٧٧ وديوان أسامة بن منقذ : ٢١٢ وما تلاها] .

٤٦

وقال في ذكر الديار:

[من الطويل]

تقــولُ لي الأشــواقُ: هذي ديارُهم ... فـقلتُ: نعمْ. . لكنَّهـا منهمُ قـفـرُ
ومــا كنتُ أهوى الدارَ إلا لأهلهــا ... وبعــدَهمُ لاجــادَ ســاكنَهــا القطرُ
فــمــا الدارُ تلك الدارُ بعــد قطينهــا ... ولا الدهرُ فـيـمـا بعـدهم ذلك الدهرُ

التخريج- المنازل والديار: ٧٧

٤٧

وقال:

[من الكامل]

لاتحقرنَّ من الضعيف عداوةً ... فالنارُ يحرقُ جمرُها وشرارُها
واحذرْ مداجاةَ العدوِّ وكيدَهُ ... إنَّ العداوةَ ليس تخبو نارُها

التخريج- لباب الآداب: ٤٧

وقال في شقائق النعمان:

[من الطويل]

ألا عجبٌ صاغ الربيعُ من الزهرِ
مداهنَ تبرٍ لم يُصَغْنَ من التِّبْرِ
شقائقُ من أغصانِ تبرٍ كأنَّها
خدودٌ بدتْ فيها عوارضُ من شَعْرِ

التخريج– نزهة الأنام في محاسن الشام: ١٦٥

٤٩

وله من قصيدة يمدح الملك الناصر صلاح الدين:

[من الكامل]

قلْ للملوك تزحزحوا عن ذروة الـ ... ـعلياء للملك الهمام الناصرِ
يعطي الألوفَ ويلتقيها باسماً ... طلقَ المحيَّا في القنا المتشاجرِ

التخريج - كتاب الروضتين ١: ١٧٧

٥٠

وقال في ذكر الديار:

[من الطويل]

بنو منقذٍ ما أنقذوا من زمانهم وكم أنقذوا من مرهقٍ وأسيرِ
أجاروا على الأيام فاضطغنتهمُ وما استمسكوا من جورها بمجير(١)
فلم يبقَ منهم غير حيٍّ كميّتٍ أخي حسرةٍ ما تنقضي وزفيرِ
فقد أقفرتْ منهم ديارٌ عهدتُها غياثاً لملهوفٍ وذخرَ فقيرِ
وما أقفرتْ من ساكنٍ بل من العلى ومن نائلٍ هامي السحابِ غزيرِ(٢)

التخريج– المنازل والديار: ٧٧

١- أجاروا: أغاثوا. اضطغن: أضمر الضغينة والحقد.
٢- النائل: العطاء.

٥١

وقال في ذكر المنازل

[من الكامل]

انظرْ منازلَ آلِ منقذَ إنّها ... عظةُ اللبيبِ وعبرةٌ للناظرِ
كانوا بها في نعمةٍ محروسةٍ ... بمكارمٍ وذوابلٍ وبواترِ
ما رامها ملكٌ ولا ذو قدرةٍ ... إلا انثنى عنها بقلبٍ طائرِ
متلهّفاً ما اسطاعها.. ومَنْ الذي ... يلجُ العرينَ على الهزبر الخادرِ(١)
فأصابها قدرٌ فأهلكَ مَنْ بها ... وأعاد شامخها كرسمٍ داثرِ
فإذا ذكرتُهمُ عرتني حسرةٌ ... تمري سحائبَ دمعيَ المتبادرِ(٢)

التخريج- المنازل والديار: ٢٧

١- الهزبر الخادر: الأسد الملتزم بعرينه.
٢- تمري: تستدرّ.

٥٢

وقال في ذكر الديار:

[من الكامل]

لاجــــادَ ربعَكَ من ديارٍ أقـــفــرتْ		من أهلهـا صــوبُ الغــمــام الماطرِ
لـم يُبْقِ منك الدهرُ إلا حَســـــرةً		للذاكـــرين وعـــبـــرةً للناظرِ
يـا حُسْنُ أولَ ذلــك الــدهــرِ الــذي		قــد كـــان فــيك وقُبْحَ هذا الآخــرِ

التخريج- المنازل والديار: ٧٨

٥٣

وقال:

[من مجزوء الرجز]

حَنانيَ الدهرُ وأفْـ ـنَتْني الليالي والغِيَرْ[1]
فصِرتُ كالقوس ومن عَصايَ للقوس وتَرْ
أهدجُ في مشيي وفي خطوي فتورٌ وقِصَرْ
كأنّني مقيّدٌ وإنما القيدُ الكِبَرْ
والعمرُ مثلُ الماء.. في آخره يأتي الكَدَرْ[2]

التخريج – العصا ٤٢٢

خريدة القصر ١: ٥٢٧

بغية الطلب ٣: ٣٦٥

١ – في بغية الطلب: وأبلتني الليالي..
٢ – في بغية الطلب: مثل الكأس..

حرف السين

٥٤

وقال :

[من البسيط]

لو أن كُتْبي بقدْرِ الشوقِ واصلةٌ تتابعتْ كدموعي أو كأنفاسي
وإن وجدتُ سبيلاً أو قدرتُ على خلاص عقلِ أسيرٍ في يد الكاسِ
أجريتُ أسود عيني فوق أبيضها بمائها، لامداداً فوق قرطاسِ
وقلتُ للشوق: يا سحبانُ أَمْلِ على يدي، أعيذك من عيٍّ وإبلاسِ[1]
حتى أبوحَ بما أشكو إليك كما باح المريضُ بشكواه إلى الآسي

التخريج - خريدة القصر ١: ٥٠٩

١ - المقصود «سحبان وائل» من خطباء العرب المشهورين، وبه يضرب المثل في البيان.

٥٥

وقال :

[من البسيط]

لأرمينَّ بنفسي كلَّ مَهْلَكَةٍ ... مخوفةٍ يتحاماها ذوو الباسِ
حتى أصادفَ حتفي فهو أجملُ بي ... من الخمول وأستغني عن الناسِ

التخريج – خريدة القصر ١: ٥٠٥

حرف الصاد

٥٦

وقال :

[من السريع]

العجز لا ينقصُ رزقاً ولا يزيده حولٌ ولا فحصُ
كلٌّ له رزقٌ سيأتيه لا زيادةٌ فيه ولا نقصُ
قد ضمنَ اللّهُ لنا رزقَنا جاءت به الآثارُ والنصُّ
فما لنا نطلبُ من غيره لولا قنوطُ النفسِ والحرصُ

التخريج – خريدة القصر ١ : ٥٠٦

حرف الضاد

٥٧

وقال في ذكر الآثار:

[من البسيط]

أعـــاضني الدهر من رؤياكمُ نَظَري   آثارَكم.. وبرغـــمي ذلك العِوَضُ
ثم استقال.. فقد أضحتْ موانُعه   دون التـــداني من الآثار تعـــترضُ
فـــقل لمن يمنعُ الحِلَّ المبـــاحَ: غـــداً   توفي.. وحقِّك.. ما أصبحتَ تقترضُ

التخريج- المنازل والديار: ١٩٣

٥٨

وقال في ذكر الدار:

[من الطويل]

نظرتُ إلى دار الأحبّةِ قفرةً وقد كان فيها العزُّ والكَرَمُ المحضُ
فلما رأى صحبي عليها تلدّدي ودمعي.. بكى بعضٌ وعنَّفني بعضُ[1]
وقالوا: أفقْ.. للأرض تبكي؟فقلتُ: لا ولكنَّني أبكي لمن وارتِ الأرضُ

التخريج – المنازل والديار: ٣٠٦

١- تلدّد: تحيّر. التفت يميناً وشمالاً.

٥٩

وقال:

[من مجزوء الكامل]

صـــــبـــــــراً لأيـامٍ تـنـا ... هتْ في مـــعـــاندتي وعـــضّي
فـــالـدهر ُكـــالميـــزانِ مـــا ... يـنـفـكُّ مـن رفـعٍ وخـــفـضِ
هـذا مـع الأفـــــلاكِ مـــــر ... تفعٌ.. وذا بـحـــضـــيضِ أرضِ
وإلـى الـفـنـاء جـــمـــيعُ مَنْ ... خـــفــضَتْه أو رفـــعـــتْه يُفْـــضي

التخريج - خريدة القصر ١: ٥٢٤

٦٠

وقال في ذكر الأرض :

[من الطويل]

تطامنْ إذا أنكرتَ دهرَكَ إنّما يفوز بخفض العيش مَنْ عاش في خَفْضِ[1]
وكنْ كالذبابِ إن رأى الريحَ عاصفاً تلاصقَ من خوف الأذيّة بالأرضِ

التخريج – المنازل والديار: ٢١٨

١- تظامن : انخفض .

حرف الطاء

٦١

وقال:

[من الكامل]

خلعَ الخليعُ عــذارَه في فــســقــه ... حــتى تهـــتَّك في بُغىً ولواطِ
يـأتـي ويؤتـى لـيـس يـنـكـرُ ذا ولا ... هـذا، كـــذلك إبرةُ الخـــيّاطِ

التخريج- معجم الأدباء ٥: ٢٠٧

خريدة القصر ١: ٥٣٣

الوافي بالوفيات ٨: ٣٨١

حرف العين

٦٢

وقال يرثي ولده عتيقاً:

[من الخفيف]

غـــالبـــتني عليكَ أيدي المنايا ‏ ‏ ‏ ‏ ولهــا في النفـــوسِ أمـــرٌ مطاعُ
فــتــخلَّيتُ عنك عــجــزاً ولو أغـ - - - ـنى دفـــاعي لطالَ عنك الدفـــاعُ
وأرادتْ جــمــيلَ صــبــري فــرامت ‏ ‏ ‏ ‏ مطلبـــاً في الخطوبِ لايســـتطاعُ

التخريج- خريدة القصر ١: ٥٢٦

حرف الغين

٦٣

وقال:

[من الخفيف]

عـجـمـتني الخطوبُ حـيناً فلمـا عـجـزتْ أن تطيقَ مني مـسـاغـا[1]
لفظتني وسـالمتني فـقـد عـا دَحـذاري أمناً وشـغلي فـراغـا
وأخـو الصـبـرِ في الحـوادث إن لم يلقَه الحينُ. مـدركٌ مـا أراغـا[2]

التخريج- مختصر تاريخ دمشق ٤: ٢٥٨

١- في الأصل: تطيق مساغاً. وقد أضفنا [مني] ليستقيم الوزن.
٢- أراغ: أراد وطلب.

حرف الفاء

٦٤

وقال في ذكر الديار :

[من الطويل]

إذا أنا شـــــارفتُ الديار تحـــــدّثتْ ... بمكنون أســـراري الدمــوعُ الذوارفُ
ومــاذا انتــفــاعي بالديار وقــربهــا ... إذا أقــــفــــرتْ من كلِّ مَنْ أنا آلفُ

التخريج– المنازل والديار: ٧٧

٦٥

وقال:

[من الكامل]

يا ربِّ إنّ إساءتي قد سوّدتْ بيد الكرامِ الكاتبين صحائفي
والخوف منكَ ومن عقابكَ مُقلقي فارحمْ مخافةَ ذي الفؤادِ الراجفِ
من خافَ شيئاً فرَّ منه هارباً وإليكَ منكَ مفرُّ عبدٍ خائفِ

التخريج – بغية الطلب ٣: ١٣٦٩

حرف القاف

٦٦

وقال في ذكر الديار:

[من الكامل]

هذي ديارُهمُ عَفَتْ وتفرَّقوا فسلِ المنازلَ عنهمُ ماذا لقوا؟
تخبركَ أنَّ الأرضَ قد وارتهمُ وأبتْ لهم أن يسمعوا أو ينطقوا
وبقيتُ بعدهمُ لهمٌّ فادحٍ وكآبةٍ تضني وخطبٍ يطرُقُ
أرجو اللحاقَ بهم.. ودون لقائهم بابٌ من الأجلِ المؤقّتِ مغلقُ
فإذا نهاني عن رجاء لقائهم يأسي.. هفا قلبٌ إليهم شيّقُ

التخريج- المنازل والديار: ٢٦

٦٧

وقال في التين:

[من المنسرح]

أوَ مــا ترى التينَ في الغــصــون بدا ممـزَّقَ الجـلْد مـــــائـلَ الـعُنُقِ
كـــأنَّه ربُّ نعـــمـــة سُلِبَتْ أصـــبح بعـــد الجـــديد في خَلَقِ
أو كـــأخي شرَّةٍ أُغـــيظَ وقـــد مـــزَّق جلـبـــابَه من الحَنَقِ
مـــثل نهـــودِ الأبكارِ صـــورتُه لو لم ينادَ عليـــه في الطُّرُقِ(١)
قـــد عـــقَّدتُه يدُ السَّمـــومِ لنا فـالوذجَ الدوحِ غـيـرَ مـحـتـرقِ
فـالشـهـدُ والزعـفـرانُ مع عرَقِ الـــــورد وحبُّ الخـشـخـاشِ في نَسَقِ
فـــقمْ بنا نحـــوه نبـــا كـــرَةُ قـبلَ جـفـافِ الندى عن الورَقِ(٢)
ولا تمـلْ بي إلى ســـواه فـــلا أمـــيلُ عنـه مـــا دمتُ ذا رَمَقِ

التخريج- نهاية الارب ١١: ١٥٩

١- أجاز العروضيون في حشو المنسرح أن تأتي (مفعولات) بعد الطي- وهو حذف الرابع الساكن- فتصبح (مفعلاتُ) وتحول إلى (فاعلاتُ) وهو كثير الورود ومستحسن. فإذا أصابها الخبن- وهو حذف الثاني الساكن- أصبحت (معولاتُ) و تنقل إلى (فعولاتُ) وهو قبيح. وفي الشطر الثاني من بيت أسامة (لو لم يناد عليه في الطرق) اجتمع الطي والخبن، فأصبحت (معلاتُ) وتنقل إلى (فعلاتُ) وهو نادر ومفرط في القبح.

[انظر موسيقا الشعر العربي: ٥٧ وما تلاها]

٢- وفي بعض الروايات: فقم بنا سحرة..

حرف الكاف

٦٨

وبلغ أسامة أن القاضي كمال الدين بن الشهرزوري[١] أنشد نور الدين[٢]:

[من مخلع البسيط]

ملكُ بني منقذٍ تولّى ... وكان فوق السّماك سَمكُهُ[٣]
فاعتبروا وانظروا وقولوا ... سبحان من لا يزولُ ملكُهْ

فأجازهما أسامة بهذه الأبيات:

وكلُّ ملكٍ إلى زوالٍ ... لا يعتري ذا اليقين شكُّهْ
إن لم يزلْ بانتقالِ حالٍ ... أزالَ ذا الملكِ عنه هُلْكُهْ
واللّهُ ربُّ العبادِ باقٍ ... وهالكٌ نِدُّهُ وشِركُهْ
فقلْ لمن يظلمُ البرايا ... غرَّك إمهالُهُ وتَركُهْ
تنسى ذنوباً عليك تحصى ... يحصرُها نقدُهُ وحكُّهْ
كم ناسكٍ نُسكُهُ رياءٌ ... أوبَقَهُ في المعادِ نُسكُهْ
فاحذرْ فما يختفي عليه ... من عبده صدقُهُ وإفكُهْ

التخريج- كتاب الروضتين ١: ١١٣

ابن الشهرزوري: هو قاضي القضاة أبو الفضل كمال الدين محمد بن عبد الله القاسم الموصلي، ولد سنة ٤٩١ هـ، وولاه هور الدين محمود قضاء دمشق، وله مدارس وأوقاف، توفي سنة ٥٧٢ هـ [انظر شذرات الذهب ٤: ٢٤٣].

٢- نور الدين: هو الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي (نور الدين الشهيد) بطل من أبطال الاسلام، له مواقف استشهادية أمام الافرنج، ومآثر باقية حتى اليوم، في دمشق وحلب وحماة وغيرها من البلدان. توفي سنة ٥٦٩ هـ ودفن بدمشق [انظر شذرات الذهب ٤: ٢٢٨ وما تلاها].

٣- يقول أبو شامة في الروضتين: والمعروف [ملك بني برمك] فغيره المنشد لما تمثل به في غرضه.

٦٩

وقال في ذكر الدار:

[من الطويل]

يقول صحابي: قد أطلتَ وقوفَنا على الدار مسلوبَ الأسى والتماسك
أفي كلّ دارٍ قد عفتْ أنتَ واقفٌ تروّي ثراها بالدموعِ السوافكَ
كأنّك في رسم الديار «متمّمٌ» وفيما عفا من ربعها «قبرُ مالك»[١]
فقلتُ: نعمْ.. هذي ديارٌ عهدتُها بها معشري مثل النجومِ الشوابكَ[٢]
أصابهمُ ريبُ الزمانِ فأصبحت قفاراً.. وهم ما بين ناءٍ وهالكِ

التخريج- المنازل والديار: ٣٠٤

١- مالك بن نويرة التميمي شاعر فارس، وبه يضرب المثل «فتى ولا كمالك»، قتله ضرار بن الأزور في حرب الردة. ومتمم أخوه شاعر صحابي، وله في مالك قصائد باكية.
٢- النجوم الشوابك: المشتبكة لكثرتها.

حرف اللام

٧٠

وقال:

[من مجزوء الكامل]

ويحَ السنينَ ومرِّها   ماذا بنا هي فاعلهْ
جعلت عصايَ.. شغلي   ولم تكنْ.. لكفي شاغلهْ
محمولةٌ هي في المجا   زِ.. وفي الحقيقة حاملهْ
والعمرُ أُلجأني إليـ   ـها والقُوى المتخاذلهْ
والنفسُ عمّا سوف تلـ   ـقى حين تُسْلَمُ غافلهْ
وجميعُ مكروهاتها   في العيشةِ المتطاولهْ

التخريج- كتاب العصا: ٤٤٩

٧١

وقال:

[من البسيط]

يهـــــونُ الخطبَ أنَّ الدهرَ ذو غِيَرٍ وأنَّ أيـــامَه بـــين الـــورى دولُ
وأنَّ مــا ســرَّ أو مــاســاء منتــقلٌ عنّا.. وإلا فــإنّا عنه ننتـــقلُ

التخريج- لباب الآداب: ٤٢٩
خريدة القصر ١: ٥٢٨

٧٢

وقال في ذكر الدار:

[من الطويل]

سـقى دارَهـم هامي الغـمـام وهاملُهْ ... ونـوَّر ذاوي الروض فـيـهـا وذابلُهْ
وعـاد بهـا طيبُ الليـالي التي خلت ... وغـبطةُ عـيش قـد تقـضَّتْ غـيـاطلُهْ
منىً يتـمنّاها على بعـد نَيْلهـا ... كذوبُ الأماني، ذاهبُ القلب، ذاهلُهْ
وبعض الأمـاني ضلّةٌ وإذا انقـضتْ ... أواخـرُ دهرٍ كـيف تُثنى أوائلُهْ
ديارٌ بهـا صـاحـبتُ شـرخَ شـبيـبـتي ... أجـاددُهُ طوراً، وطـوراً أهـازلُهْ
أروحُ إلى لهـو الصِّبـا ونعـيـمـه ... وأغـدو على ليثٍ كـميٍّ أنازلُهْ
عـهـدتُ بهـا عين المهـا دون حـجـبـهـا ... أسودَ الشرى يلقى الردى من تصاولُهْ
وسـرب ظبـاء تُحجبُ الشـمس دونه ... وتُحـجبُ عن طيف الخيـال عـقـائلُهْ
وكلِّ أخي بأسٍ كـريمٍ تخـالُهُ ... إذا مـا انتـفى سـيـفـاً جلتْه صـيـاقلُهْ
فلـم يبقَ ممّا كـان إلا ادّكـارُهُ ... وحـسـرةُ قلبٍ لاتقـرُّ بلابلُهْ
وكنتُ أرى مـا سـرّني غـيـر زائلٍ ... ويخطىءُ نهجَ الحـزمِ من هو جـاهلُهْ
فما كان إلا الطيفَ يُحسب في الكرى ... يقـيناً.. فـإن بانَ الكرى.. بانَ باطلُهْ

التخريج- المنازل والديار: ٣٠٣

٧٣

وقال في ذكر المنازل:

[من الطويل]

يعنِّفني في الدار صحبي على البكا ... فيا ويحَ قلبي من خليٍّ وجاهلِ
وقالوا: أتبكي للمنازلِ؟ قلتُ: لا ... ولكنّما أبكي لأهلِ المنازلِ

التخريج - المنازل والديار: ٢٧

٧٤

وقال في ذكر المنازل:

[من الطويل]

إلى الله أشكو روعتي لمنازل   خلتْ.. وجوى قلبي لأهلِ المنازلِ
سيوفي إذا ما نازلتْني ملمَّةٌ   حصوني إذا خفتُ الردى ومعاقلي
مضوا سلَفاً قبلي فلم أحظَ بعدهم   من العيشِ والعمرِ الطويل بطائلِ

التخريج- المنازل والديار: ٢٦

٧٥

وقال:

[من السريع]

قَــصّرَ خطوي وحنا صــعــدتي ... مــرورُ دهرٍ خــائنٍ خــابلِ[1]
وصــار كــفي مــألفــاً للعــصــا ... من بعــد حــملِ الأســمــرِ الذابلِ
أمــشي بضــعفٍ وانحناءٍ على ... عــصــايَ مَشْيَ الصــائدِ الخــاتلِ
كــأنني لم أمشِ يوم الوغى ... إلى نزالِ البطلِ البــاسلِ
ولم أشقَّ الجيشَ لا أختشي ... من الردى كــالقــدرِ النازلِ
فــانظرْ إلى مــا فَعَلَ العــمــرُ بي ... من طولــه لم أحظَ بالطائلِ
يا حــســرتا إنّي غــداً مــيّتٌ ... على فــراشي مــيــتةَ الخــاملِ
هــلاّ أتــانــي المــوتُ يــوم الــوغــى ... بــين الــقــنــا والأســلِ الــنــاهــلِ

التخريج- كتاب العصا: ٤٥٠

---

(1) الصعدة: القناة المستوية.

٧٦

وكتب إلى ولده الأمير عضد الدين أبي الفوارس مرهف وكان في مصر، يطلب منه عصا من آبنوس[1]:

[من الطويل]

أريد عـــصـــا من آبُنوس تـقلّني ... فإنّ الثمانين استعادت قُوى رجلي
ولو بعـصـا مـوسى اتّقـيتُ لآدَها ... على ما بها من قوةٍ حملُها ثقلي[2]
ولكنْ تمنّينا الرجـــاء ببــاطلٍ ... وكم قَدْرُ مـا ترجى المنايا ولم تملِ[3]
إذا بلغ المرءُ الثـمــانين فـالردى ... يناجيه بالترحال من جانبِ الرحْلِ[4]

التخريج- كتاب العصا: ٤٥٦

١- الآبُنوس والأبْنوس: شجر صلب العود أسوده.
٢- آد: أثقل.
٣- وفي نوادر المخطوطات: وكم قدر ما ترخي المنايا وكم تملي [انظر ج١: ٢١٤]. وفي نشرة أسامة بن منقذ للشيخ طاهر النعساني: وكم قدر ما ترجي.. [انظر ص٣٧].
٤- وفي نوادر المخطوطات: يناديه بالترحال.. [انظر ج١: ٢١٤].

٧٧

وقال:

[من الكامل]

حسنُ التواضعِ في الكريم يزيدُهُ ... فضلاً على الأضرابِ والأمثالِ[1]
يكسوه من حسنِ الثناء ملابساً ... تنبو عن المترفّعِ المختالِ
إن السيولَ إلى القرارِ سريعةٌ ... «والسيل حرب للمكان العالي»[2]

التخريج- خريدة القصر ١: ٥٢٤

١- الأضراب: مفردها الضريب، وهو المثيل.
٢- تضمين من شعر أبي تمام، وأوله: لاتنكري عطل الكريم من الغنى [انظر ديوان أبي تمام: ٢١٧]

٧٨

وقال:

[من الخفيف]

حــذّرتني تجـاربي صـــحـــبـــةَ العـــا ... لــمِ حـــتى كـــرهتُ صـــحـــبـــةَ ظلّي
ليس فـــيــــهم خلٌّ إذا نابَ خطبٌ ... قلتُ: مــالي لدفــعــه غــيـــرُ خلّي
كـلّهـم يبــــــذلُ الودادَ لدى اليُسْـ ... ـــرِ، ولكنّهم عــــدىً لـلـمـــــقلِّ
فــاعــتــزلْهم فــفي انفــرادك منهم ... راحــــةُ النفسِ من حـــــذارٍ وذلِّ

التخريج- خريدة القصر ١: ٥٢٥

٧٩

وقال:

[من المتقارب]

إذا حـال حـالك صبغ الشباب ... سقى عهده الغيث من ماحل
فماذا الغرور بزور الخضاب ... لولا التعلل بالباطل

التخريج- خريدة القصر ١:٥٠٦

٨٠

وقال وهي من لزومياته:

[من البسيط]

يا مـــؤيسي بتـــجنّيـــه وهجـــرته هل حــرّم الحبُّ تســـويفي وتعليلي
يبـدي لي اليـأس تصـريحـاً فـتكذبه طمـاعـتي، وأرى الآمـال تملي لي (١)
وقـــد رضـــيتُ قليـــلاً منكَ تبـــذلُه فـمـا احتيـالي إذا استكثـرتَ تقليلي

التخريج – مختصر تاريخ دمشق ٤: ٢٥٩

١ - في الأصل: طماعي. والصواب ما ذكرناه، وبه يستقيم الوزن.

٨١

وقال:

[من الطويل]

أراني نهارُ الشيبِ قصدي وطالما تجاوزَ بي ليلُ الشبابِ سبيلي
وقد كان عذري أَن أضلّنيَ الدجى فهل ليَ عذرٌ والنهارُ دليلي

التخريج- مختصر تاريخ دمشق ٤: ٢٦٠

٨٢

وقال في ذكر الدار :

[من الطويل]

يقولون : قد أعولتَ في الدار ما كفى ... وليس على ربعٍ عفا بمعوّلِ
وكم قدْر ما تبقي الدموع إذا جرت ... على كل ربعٍ أو على كلّ منزلِ
فقلتُ : نعمْ . . هذي ديارٌ عهدتُها ... عرينَ أسودٍ في الخطوب ومعقلي
فقد أصبحت قفراً وفرّقَ شملَهم ... حوادثُ دهرٍ بالفراق موكّلِ
سأبكيهمُ أو يمزجُ الدمُ أدمعي ... فينهلّ سِمْطاً كالجمانِ المفصَّلِ

التخريج - المنازل والديار : ٣٠٤

---

١ - السمط : الخيط ما دام اللؤلؤ منتظماً فيه . والجمان : اللؤلؤ . والجمان المفصل : ما كان بين لآلئه جواهر مخالفة لها .

٨٣

وقال:

[من الكامل]

الناس أشباهٌ فإن خطبٌ عرا حطَّ الدنيُّ وشاد قدرُ الأفضلِ
كالعود مشتبهٌ. فإن حرّقْتَه كُرِهَ الدخانُ وطاب عَرْفُ المَنْدَلِ[1]

التخريج- لباب الآداب: ٤٥٠

١- المندل: عود طيب الرائحة.

حرف الميم

٨٤

وقال في ذكر الأطلال:

[من الطويل]

نعمْ.. هذه الأطلالُ قفرٌ كما ترى فما عذرُ أجفاني إذا لم تفضْ دما؟
ولليوم أعددتُ الدموع وصنتُها وما يستجمُّ الدمعُ إلا ليسجُما
وفي منزلِ الأحباب عذرٌ لذي الهوى فلا لومَ إلا أن تجورَ وتظلما

التخريج – المنازل والديار: ١١٥

٨٥

وقال وعمره ست وتسعون سنة :

[من الطويل]

علقتُ هواكم في بُلَهْنِيَةِ الصِّبا ... فقلتُ: إذا وافى المشيبُ تصرّما
فقد زارني شيبي وتسعون حجّةً ... وستٌّ مضتْ لي صبوةً وتَتَيُّما
بتذكارِ وصلٍ كان في غير ريبةٍ ... يزينُ هوانا عفّةً وتكرُّما
بنظرةِ عينٍ أو بردِّ تحيّةٍ ... ألذَّ من الماءِ الزلالِ على الظما
ورَجْعِ حديثٍ في عفافٍ تخالُهُ ... إذا ما وعاه السمعُ دراً منظّما
فليتَ الليالي أسعفتني صروفُها ... وردَّتْ زماناً بالسرورِ تقدَّما

التخريج– أسامة بن منقذ: الورقتان ٦٤– ٦٥[1]

١– يذكر المؤرخ الحموي أحمد قدري كيلاني في كتابه المخطوط أنه نقل هذه المقطوعة من كتاب ذيل العصا المطبوع في باريس ١٨٩٣ . [مقطوعة رقم ٥– الحاشية ١]

٨٦

وقال:

[من البسيط]

يا عـاتبين عـتـابَ المسـتـريب لنا لاتسمعوا في الهوى ما تدّعي التهمُ
مَنْ لي بأن بسـيطَ الأرضِ دونكمُ طرسٌ. وأنّي في أرجـائه قلمُ
أسـعى إليكم على رأسي ويمنعني إجلالي الحبَّ أن يسعى بي القدمُ

التخريج- خريدة القصر ١: ٥٣٣

٨٧

وقرأ على حائط مسجد بـ «فَنَك»[1] هذا البيت مفرداً :

[من الطويل]

تجنّبتُ غشيان الديارِ وليس في
تجنُّبِها بعد الفراقِ ملامُ

فأجازه بهذا البيت ، وكتبه تحته :

وما كنتُ أهوى الدار إلا لأهلها
على الدارِ بعد الظاعنين سلامُ

التخريج – المنازل والديار: ٩٤

١ - فنك (بفتح أوله وثانيه) : قلعة حصينة قرب جزيرة ابن عمر ، بينهما نحو من فرسخين [معجم البلدان ٤ : ٢٧٨]

٨٨

وقال في ذكر الديار:

[من الكامل]

هذي ديارُ بني أبي ومعاشري قفرٌ عليها وحشةٌ وظلامُ
درستْ محافظة لهم وتوحّشتْ من بعدهم.. وتعفّت الأعلامُ
فإذا مررتَ بها فقلْ متمثّلاً «يا دارُ ما صنعتْ بكِ الأيامُ»[1]

التخريج- المنازل والديار: ٧٦

١- انظر ديوان أبي نواس: ٤٠٧. وفيه: ما فعلت.

٨٩

وقال في ذكر الدار :

[من البسيط]

يا دارُ أنت التي كــان الجــميعُ بهــا وكــان في ربعكِ الولدانُ والحــشمُ
وكنتِ للضــيف والعــافين مــرتبــعاً يقــتــادهم نحــوك الإكــرامُ والكرمُ
أصبحتَ قفراً وأضحى أهلُك افترقوا أيدي سبا، وانثنت عن قصدِكِ الهممُ
ما أعجبَ الدهرَ. . عيشُ الناسِ أجمعهمْ - إن سرّهم صرفُهُ أو ساءهم- حلُمُ

التخريج- المنازل والديار: ٣٠٤

٩٠

وقال في ذكر المنازل والديار:

[من الكامل]

قل للذي فَـقَـدَ الأحـبّةَ وانثنى ... يسقي منازلَهم دموعاً تسجُمُ
ماذا وقوفُك في الديار مسائلاً ... عن أهلها.. ومتى يجيبُ الأبكمُ؟
سلْ عنهمُ صرفَ الزمان فإنّه ... بهمُ من الدار المحيلةِ أعلمُ
أفناهمُ ريبُ المنون.. وهذه ... آثارُهم عظةٌ لمن يتوسّمُ
هي شيمةُ الأيامِ.. كفٌّ تبتني ... مذ كانت الدنيا.. وكفٌّ تهدمُ
وإذا رأيتَ محسّدين فقلّما ... ترجيهمُ الأيامُ حتى يُرحموا
ونرى تقلُّبَ هذه الدنيا بنا ... وكأنّنا فيها سكارى نوَّمُ

التخريج – المنازل والديار: ٢٦

١- ترجيهم: تؤخرهم. والأصل: ترجئهم، فخففت الهمزة.

٩١

وقال في ذكر المنازل:

[من مجزوء الكامل]

هــذي مــنــازلــهــم وأنــــ ـــــت بهم مــعنّى مــغــرمْ
فــاســفحْ دمــوعَك في ثرا هــا أو يمــازجهُــا الــدمْ
واســألْ بــهم صــرفَ الزمــا ن فــإنّه هــو أعــلــمُ
يخــبــركَ أنّ القــومَ قــد قَدِمــوا على مــا قــدّمــوا
وغــداً نــخــيّمُ حــيث حلّوا في القــبــور وخــيَّمــوا

التخريج- المنازل والديار: ٢٩

٩٢

وقال في ذكر المنازل:

[من مجزوء الكامل]

يا دارُ لو روَّتْ محولَكِ أدمعي لسفحتها بك أو يمازجها الدمُ
لكنَّ دمعَ العينِ يُحسبُ قطرُهُ ماءً برودًا.. وهو جمرٌ مضرمُ
وإذا رأيتك قفرةً من معشري وبني أبي.. وهمُ لعمركَ ما همُ
فكأنني عاينتُ حفرةَ «مالكٍ» وكأنني وجداً عليه «متمِّمُ»[1]

التخريج- المنازل والديار: ٣٠٥

١- المقصود مالك بن نويرة الذي قتل في حرب الردة، ومتمم أخوه كما سبق.

٩٣

وللأمير الفاضل أسامة بن منقذ في صلاح الدين من قصيدة أولها [سلّم على مصر لاربعٌ بذي سلم] يقول فيها :

[من البسيط]

النـاصـــــر الملك الموفي بذمّتـــــه ومَنْ نـدى كـــــفّه يغني عن الـدّيَمِ
ومَنْ إذا جرَّد البيضَ الصوارمَ في الـ ـهيجاء أغمدها في البيض والقمم(١)
ومنْ حوى المُلْكَ من بعد الطماعة في انـ ـتـزاعــه بشـبـا الهنديّة الخُذُم(٢)
وردَّ طاغيـةَ الافـرنج يحسبُ مـا رجـاه من مُلكِ مصرٍ كان في الحلم
ولّى وراحتـهُ صفـرٌ وقـد ملئت بعـد الطمـاعـة من يأسٍ ومن ندم
يصعّدون على مـا فـاتهم نَفَسـاً لو لافح البحرَ أضحى الموجُ كالحمم
وفي السـلامـة لولا جـهلُهم ظَفَرٌ لمـن أرادَ نـزالَ الأُسْدِ في الأجـم
وهـم أسـودُ الشرّى لكنْ أذلّهـمُ مَلْكٌ لديه الأسـودُ الغُلْبُ كالغنم

التخريج– كتاب الروضتين ١ : ١٥٦

---

١ – البيض (بفتح الباء وتسكين الياء) مفردها البيضة ، وهي الخوذة . القمم : مفردها القمة (بكسر الميم) ومن معانيها البدن والقامة .

٢ – شبا : مفردها شباة ، وشباة السيف قدر ما يقطع به . والخذم : مفردها الخذوم ، وهو القاطع من السيوف .

٩٤

وقال يخاطب ولده الأمير مرهف:

[من البسيط]

أبا الفـوارسِ إن أنكرتَ قـبضَ يدي   من بعـد بسطتـهـا بالجـودِ والكرمِ
فـالذنبُ للمـوت أرجـاني إلى زمنٍ   غلّتْ أكفَّ الندى بؤسـاه بالعـدمِ

التخريج - خريدة القصر ١: ٥٢٥

٩٥

وقال:

[من الكامل]

نظرت إلى ذي شيبةٍ متهدّمٍ … أفناه ما أفنى من الأعوامِ
يمشي وتقدمُه العصا وقد انحنى … فكأنّها وترٌ لقوس الرامي
ورأت سماتِ الأريحيّة والندى … ودلائلَ المعروفِ والإقدامِ
واستخبرتْ عني فقلتُ لها: امرؤٌ … نائي المواطنِ من كرام الشامِ
نبت الديارُ به وضاق فسيحُها … عنه ففارقها بغير ملامِ
قالتَ: من أيّ الناس أنتَ..؟ فقلتُ: من … أولاد منقذَ في ذُرىً وسنامِ
من معشرٍ أبداً تروح رماحُهم … بدم العدا مخضوبةَ الأعلامِ
تحمي البلادَ سيوفُهم وتبيحُ ما … تحميه دونهم سيوفُ الحامي
النازلين بكلّ ثغرٍ خائفٍ … والآمنين معرّةَ الجرّامِ
وإذا أتاهم مستجيرٌ خائفٌ … آوى إلى حَرَمٍ من الأحرامِ
وإذا أناخَ السائلون بجوّهم … عادوا ثقالَ الظهرِ بالإنعامِ
كم فيهمُ عند الحقوق إذا عرتْ … من باذلٍ متبرّعٍ بسّامِ
تغني يداه إذا همَا همَتَا ندىً … في المحلّ عن صوب الغمامِ الهامي
يتهلّلون طلاقةً ويخافُهم … لسُطاهمُ الأسادُ في الآجامِ
قالت: فأين همُ..؟ فقلتُ: أبادهم … دهرٌ.. وهل باقٍ على الأيامِ؟
ووددْتُ لو ناهلتُهم كأس الردى … ووردتُ قبلهمُ حياضَ حمامي
فحياةُ مثلي بعد عزّ باذخٍ … ومعاشرٍ غُلْبٍ ومالٍ نامِ

ونفـــاذ أمـــرٍ لا يردُّ . . يطيـــعُهُ فـيـمـا قـضى العـاصي من الأقـوامِ
لأشدُّ من غصص الحمامِ . . وراحتي بالموت غـــايةُ مُنْيَتي ومـــرامي
فـبكتْ بزفـرةِ مـوجعٍ لو صـادفت حـجـراً لذابَ من الزفـيـر الحـامي

التخريج- كتاب العصا: ٤٥١

٩٦

وقال :

[من الكامل]

أسفي على عصر الشباب تصرَّمت أيــامُه . . لا بــل عــلــى أيــامــي
لـم أبكه أســفــاً على مــرح الصِّبــا ووصــال غــانيــةٍ ، وشــربِ مــدامِ
لكنْ علَى جلَدي وخوضي معـركـاً يرتاعُ فـــيـــه الموتُ من إقـــدامي
بيــدي حـــســـامٌ كلّمــا جــــرّدتُه يوم الوغى أغـــمـــدتُه في الهـــامِ
ولصدرِ مـعـتـدل الكعُـوب حطَمتُه في صدر كـبشٍ كـتيـبـةٍ قَمقـامِ[1]
ونزال فـرســان الهَـيـاجِ . . وكلُّهم فَرِقٌ لهــول تقــحُّمي ومُقــامي
ولقـتلَيَ الأُسْدَ الَضـواري نَحْطُهـا[2] كـالرعـد قـعـقعَ في مـتـون غـمـامِ
تلقى إذا لاقـيـتُهــا أســداً . . لـه بأسٌ يبــيـحُ به حــمى الآجـــامِ
لـــو أنَّ عـــينَ أبـــي زُبَيْد[3] عـاينتْ فـــتكاته لأقـــرَّ بالإحـــجـــامِ
فـحـملتُ من بعـد الثمـانين العـصـا مـــتـــيـــقِّناً إنذارها لِحــمــامي

التخريج – كتاب العصا: ٤٠٤

---

١ - القمقام : السيد الكثير العطاء .
٢ - النحط : الزفير ، البكاء في الصدر ، صوت الخيل من الاعياء .
٣ - أبو زبيد : عمرو بن معدي كرب الزُبَيدي ، وأبوه رئيس بني زُبَيْد ، وكان شاعراً فارساً ، ورجلاً جسيماً وقوته العضلية من الخوارق ، وله وقائع مشهورة في الجاهلية والإسلام ، والعمصامة سيفه الباتر ، و يضرب المثل .

٩٧

وقال في الحباب من أبيات:

[من المجتث]

وقد علاها حَبابٌ ... كاللُؤلؤ المنظومِ
رأيت شمسَ نهارٍ ... قد رُصِّعَتْ بالنجومِ

التخريج – خريدة القصر ١: ٥١٥

٩٨

وكتب إلى العماد الأصفهاني :

[من الرمل]

يا عـــمـــادي حين لا مـــعـــتـــمـــدٌ ... وصـــدى صـــوتيَ في الخطب الملمٌ
والـــذي بـــوأنـــي مـــن رأيـــه ... في أعـــالي ذروة الطودِ الأشمٌ
منذ فـــارقـــتُك أُنسي نافـــرٌ ... وسنا صـــبـــحي كليلٍ مـــدلهمٌ
فـــإلى من أشـــتكي شـــيـــئاً إذا ... غـــاب عني مـــشتكى طارق غـــمّي
وإذا كنتَ مـــعـــافىً ســـالماً ... في اعـــتـــلاءٍ وســـعـــودٍ هانَ همّي

التخريج - خريدة القصر ١ : ٥٤٤

٩٩

وقال في ذكر المنازل

[من البسيط]

يا منزلاً كــان فـيــه العــزُّ مـقـتــرناً ... بالسـيف، والمالُ مـقـروناً إلى الكرمِ
من خـــاف جَوْراً وعُدْمـــاً ثم لاذَ به ... لاقى الأمــــانَيْنِ من جَوْرٍ ومن عَدَمِ
أفنتْ حـماتَك أحداثُ الزمان.. فيا ... للّه من فـتـكهـا بالأُسـد في الأجمِ
أعـــيت مناواتهم غُلْبَ الملوك إلى ... أن جـاءهم قــدرٌ قـد خطَّ بالقلم(١)
فـأصـبـحـوا لاترى إلا مـسـاكـنَهم ... كـأن مـا خُوِّلوه كـان في الحلُمِ(٢)
ولـم تـدع منـهـم إلا حــــديثَهم ... كــمــا تحــدّثُ عن عـادٍ وعن إرمِ
فــيــا لقلبي.. لأحـزانٍ أكـاتمهـا ... عليــهـمُ.. ولدمعٍ غـيــرِ مكتــتمِ

التخريج- المنازل والديار: ٢٨

١- غلب: مفردها أغلب، والأغلب ماكان غليظ العنق.

٢- كذا جاء الشطر الأول في الأصل، وفي القرآن الكريم: «فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم» الأحقاف- الآية ٢٥.

١٠٠

وقال في ذكر الدار:

[من الكامل]

دارٌ على قُلَل الجبال تفجّرتْ فيها بحارُ فضائلٍ ومكارمِ
فيها الندى والجودُ حقاً لا الذي كنا نحدّثُ عن سماحةِ «حاتمِ»
وفوارسٍ جمعوا المكارم والعلى لينَ التواضعِ في قلوب ضراغمِ
أفناهمُ ريبُ المنونِ فلم يدعْ منهم سوى ذكرٍ لحلْمِ الحالمِ[1]

التخريج - المنازل والديار: ٣٠٥

١ - في طبعة دمشق - المكتب الاسلامي: كحلم الحالم [انظر ٢: ١١٦]

١٠١

وقال في بكاء الأهل والإخوان:

[من المنسرح]

ونافستني صروفُ دهريَ في الـ --- ـفوز ببرٍّ الآباء في الرَّجَمِ[1]
لو كنتُ أُستطيعُ أن أزورهما --- مشياً على الرأس لاَ على القدمِ
بادرتُ أمشي على ثرى جَدَثَيْ --- أعزِّ أهلي عليَّ كالقلمِ
لكن بمصرٍ قبرٌ، وفي شيزرٍ --- قبرٌ، وداري بمنتأى العجمِ
والظلمُ في الأرض مانعي كلَّ ما --- أبغيه حتى زيارةَ الرِّمَمِ
وما ظننتُ الذي لقيتُ من الد --- نيا تراه عينايَ في الحلُمِ

التخريج - المنازل والديار: ٤١٩

١ - في الأصل: نافستني. وزيادة الواو قبلها لضرورة الوزن.

حرف النون

١٠٢

وقال في ذكر الديار:

[من البسيط]

إذا بكى لديارٍ بادَ ساكنُها ... ذو وحدةٍ ساءه في داره الزمنُ
بكيتُ أهلي وأوطاني وآسفني ... أن ليس لي بعدهم دارٌ ولا سكنُ
أخنى الزمان على قومي . . وملَّكَ أو ... طاني سوايَ . . فلا أهلٌ ولا وطنُ[١]
ولم تدعْ لي المنايا مشتكى حزَنٍ ... أبثُّه كمدي إن عادني حزَنُ

التخريج - المنازل والديار: ٧٨

١ - أخنى عليه الزمان: أتى عليه وطال، أهلكه، وجار عليه.

١٠٣

وقال في ذكر الديار :

[من الكامل]

إن كـــان عنـدهـمُ وقـــد ظنّوا   أنّا نقـــيمُ . . فـبـــئس مـــا ظنّوا
واســتــرهنوا قلبي فــوا عــجــبي   الـدَّيْنُ لـي وفـــــؤاديَ الـرَّهْنُ

التخريج – البديع في نقد الشعر : ١٣٨

١٠٤

وقال يمدح الناصر صلاح الدين :

[من الكامل]

لهفي لشرخ شبيبتي وزماني وتروُّحي لفتوَّةٍ وطعانِ
أيامَ لا أُعطي الصبابةَ مقودي أنَفاً، ولا يثني الغرامُ عناني
وإذا اللواحي في تقحُّمي َالردى لا في المدام ولا الهوى تلحاني
وإذا الكماةُ على يقينٍ أنهم يلقى الردى في الحرب من يلقاني
أعتدُّهم . . وهمُ الأسودُ . . فرائسي فهمُ دريئةُ صارمي وسناني
والأُسْد تلقى مثلها مني إذا لاقيتُها بقُوى يدٍ وجنانِ
كم قد حطَمتُ الرمحَ في لبّاتها فتركتُها صرعى على الأذقانِ
حتى إذا السبعون قصَّر عشرُها خطوي، وعاث الضعفُ في أركاني
أبلتنيَ الأيامُ حتى كَلَّ عن ضَرْبِ المهنّدِ ساعدي وبناني
هذا وكم للدهر عندي نكبةٌ في المال والأهلين والأوطانِ
نوبٌ يروضُ بها إبايَ وقد عسا عودي فما تثنيه كفُّ الحاني
لا أستكينُ ولا ألينُ وقد بلا فيما مضى صبري على الحدثان
فالآن يطمعُ في اهتضامي إنّه قد رام أمراً ليس في الامكانِ
والناصرُ الملكُ المتوَّجُ ناصري وعلاه قد خطّت كتابَ أماني
قد كنت أرهبُ صرفَ دهري قبله فأعاد صرف الدهرِ من أعواني
أنا جارُه ويدُ الخطوبِ قصيرةٌ عن أن تنالَ مُجاورَ السلطانِ

ملك يمنُّ على أسارى سيبه | فيعيدهم في الأسر بالاحسانِ
خضعتْ له صيدُ الملوك فمن بُرى | أقلامه غررٌ على التيجانِ
ملأ القلوبَ محبةً ومهابةً | فخلتْ من البغضاء والشنآنِ
لي منه إكرامٌ علوتُ به على | زُهْرِ النجومِ.. ونائلٌ أغناني
قرنَ الكرامةَ بالنوال مُواليـاً | فعجزتُ عن إحصاء ما أولاني
فنداه أخلفَ ما مضى من ثروتي | وبقاؤه عن أسرتي أسلاني
فلأهدينَّ إلى علاه مدائحاً | تبقى على الأحقاب والأزمانِ
مدَحاً أفوقُ بها زهيراً مثلما | فاق المليكُ الناصرُ ابنَ سنان[1]
يا ناصر الاسلامِ حين تخاذلت | عنه الملوكُ ومظهرَ الايمانِ
بك قد أعزَّ الله حزبَ جنوده | وأذلَّ حزبَ الكفرِ والطغيانِ
لما رأيتَ الناسَ قد أغواهمُ الـ---شيطانُ بالإلحادِ والعصيانِ
جرَّدتَ سيفَك في العدا لا رغبةً | في الملكِ.. بل في طاعةِ الرحمنِ
فضربتَهم ضربَ الغرائبِ واضعاً | بالسيف ما رفعوا من الصلبانِ
وغضبتَ لله الذي أعطاك فصـ---لَ الحكمِ غضبةَ ثائرٍ حرآنِ
فقتلتَ من صَدَقَ الوغى ووسمتَ من | نجّى الفرارُ بذلةٍ وهوانِ
وبذلتَ أموالَ الخزائن بعدما | هرمتْ وراء خواتمِ الخُزّانِ
في جمع كلّ مجاهدٍ ومجالدٍ | ومبارزٍ ومُنازلِ الأقرانِ
من كلّ من يردُ الحروبَ بأبيضٍ | عضْبٍ، ويصدرُ وهو أحمر قانِ
ويخوضُ نيرانَ الوغى وكأنّه | ظمآنُ خاضَ مواردَ الغدرانِ
قومٌ إذا شهدوا الوغى قال الورى | ماذا أتى بالأسْدِ من خفّانِ[2]

١- المقصود زهير بن أبي سلمى أحد أصحاب المعلقات، وقد خلّد هرم بن سنان في شعره، لسعيه بالصلح بين عبس وذبيان في حرب داحس والغبراء.
٢- خفان: موضع قبل اليمامة، أشب الغياض، كثير الأُسْد [انظر معجم ما استعجم ١ : ٥٠٥]

لو أنهم صدعوا الجبالَ لزعزعوا أركانَها بالبيضِ والخرصانِ[1]
فهمُ الذخيرةُ للوقائع بالعدا ولفتحِ ما استعصى من البلدانِ[2]
واسعدْ بشهرِ الصومِ فهو مبشّرٌ لعلاك بالتأييدِ والغفرانِ
في دولةٍ عمّت بنائلها الورى فدعا لها بالخُلْدِ كلُّ لسانِ

التخريج– خريدة القصر ١: ٥٣٠ وما تلاها

١- الخرضان: مفردها الخرص وهو الرمح القصير السنان.
٢- أسقطنا بيتين بعد هذا البيت لوجود نقص في الكلام يتعذر ترميمه.

١٠٥

وقال:

[من الكامل]

غضبوا وقالوا: باحَ دمعك بالهوى | والذنبُ للهجر الذي أبكاني
هبْ أنّني أُخفي بكايَ فما الذي | يخفي ضنايَ.. وصدُّهم أضناني؟
كيف السبيلُ إلى رضى متجرِّمٍ | يأبى قبولَ العذرِ وهو الجاني؟

التخريج– أسامة بن منقذ: الورقة ٦٥[١]

١- انظر تعليقنا على المقطوعة رقم٥- الحاشية رقم١.

١٠٦

وكتب إلى المهذب الحكيم ابن النقاش[١] هذه الأبيات، يطلب فيها دهن البلسان علاجاً لركبته الضعيفة:

[من الخفيف]

ركبتي تخدمُ المهذَّبَ في العلـ --- ـم . . وفي كلِّ حكمةٍ وبيانِ
وهي تشكو إليه تأثير طول الـ --- ـعمر في ضعفها ومرِّ الزمانِ
فبها فاقةٌ إلى ما يقوّيـ --- ـها على مشيها من البَلَسانِ[٢]
كلُّ هذا علالةٌ، ما لمن حا --- ز الثمانين بالنهوض يدانِ
رغبةً في الحياة من بعد طول الـ --- ـعمر والموتُ غايةُ الإنسانِ

التخريج – عيون الأنباء في طبقات الأطباء ٣: ٢٦٧
خريدة القصر ١: ٥٠٧

---

١ – ابن النقاش هو أبو الحسن علي بن هبة الله النقاش، ولد في بغداد وتوفي بدمشق سنة ٥٧٤ هـ. وكان عالماً أديباً، اشتغل بعلم الحديث وصناعة الطب. [انظر عيون الأنباء في طبقات الأطباء ٣: ٢٦٥ وما تلاها]
٢ – البلسان: شجر له زهر أبيض صغير على هيئة العناقيد، يستخرج منه دهن عطر الرائحة.

١٠٧

وقال:

[من مجزوء الكامل]

لاتوصِ عند الموتِ إلا بالوديعـــــة والديونِ
ودعِ التشاغلَ بالحطام.. كفاك شغلُكَ بالمنونِ
فوصيةُ الأموات بالأحياء من شُعَبِ الجنونِ

التخريج- خريدة القصر ١: ٥٠٧

١٠٨

ونزل بـ «صور» في دار ابن أبي عقيل، فكتب على بعض الرخام:

[من البسيط]

دارٌ سكنتُ بها كرهاً وما سكنت ... نفسي إلى سكَنٍ فيها ولا شَجَنِ
والقبر أرفقُ لي منها وأجملُ بي ... إن صدَّني الدهرُ عن عَوْدٍ إلى وطني

التخريج – المنازل والديار: ٢٣٦
مختصر تاريخ دمشق ٤ : ٢٥٨

---

١ – في مختصر تاريخ دمشق: روحي إلى شجن فيها ولا سكن
٢ – في مختصر تاريخ دمشق: والقبر أستر لي..

١٠٩

وقال في ذكر الدار:

[من الرجز]

وا وحشتي في الدار لما أصبحتْ		موحشةً من الظباء العينِ
كانت عريناً وكناساً فاغتدتْ		مقفرةَ الكناسِ والعرينِ[١]
تقارنُ الأُسْدُ بها عينُ المها		والدهرُ قطّاعُ قوى القرينِ
فأصبحتْ كما ترى ليس بها		إلا دواعي الوجدِ والحنينِ

التخريج– المنازل والديار: ٣٠٥

---

١ - الكناس: بيت الظبي.

١١٠

وقال في ذكر الدار :

[من مجزوء الكامل]

يا رب عــفــواً من مــسيءٍ خــائف مــا كــان منهُ
مــتــيــقّنٍ أن ســوف يصلَى النارَ إنْ لم تعفُ عنهُ

التخريج – خريدة القصر ١ : ٥٠٨

حرف الهاء

١١١

وقال يرثي ولده عتيقاً:

[من الخفيف]

كلمــا امــتـــدَّ ناظري ردَّه الدمـ ---ـعُ حسـيـراً عن أن يُرى لك شبْهـا
لم يرقني من بعـد فـقـدكَ مـرأىً فـيـه للعين مـسـتـرادٌ وملهى
كنتَ عنـدي ألذَّ مـن رَغَدِ العـيـ ---ـشِ وأحلى من الحـيـاةِ وأشـهى

التخريج- خريدة القصر ١: ٥٢٦

١١٢

وقال:

[من مجزوء الرمل]

أيها المغرور مهلاً ... بلغ العمرُ مداهْ
كم عسى من جاوز السبعين يبقى.. كم عساهْ
أنسيتَ الموتَ أم أمّنكَ الله لظاهْ
تظلمُ الناسَ لمن ترجوه أو تخشى سطاهْ
أنتَ كالتّنور يصْلى النارَ في نفع سواهْ

التخريج - خريدة القصر ١: ٥٢٢

حرف الياء

١١٣

وقال:

[من البسيط]

إذا اختـفت في الهـوى عني إسـاءتُه　　أبدى تجنّيـه ذنبي قـبل أجنيـه
كـذاك إنسـانُ عـيني لايزال يرى　　عيبي ولستُ أرى العيبَ الذي فيـه

التخريج– خريدة القصر ١: ٥٠٢

١١٤

وقال في الشطرنج، وقد انشدهما العماد الأصفهاني في مجلس الملك الناصر صلاح الدين بدمشق:

[من البسيط]

انظرْ إلى لاعبِ الشطرنج يجمعُها ... مغالباً ثم بعد الجمع يرميها
كالمرء يكدحُ للدنيا ويجمعها ... حتى إذا ماتَ خلاّها وما فيها

التخريج - خريدة القصر ١ : ٥١٥
معجم الأدباء ٥ : ٢٠٣
الوافي بالوفيات ٨ : ٣٨١

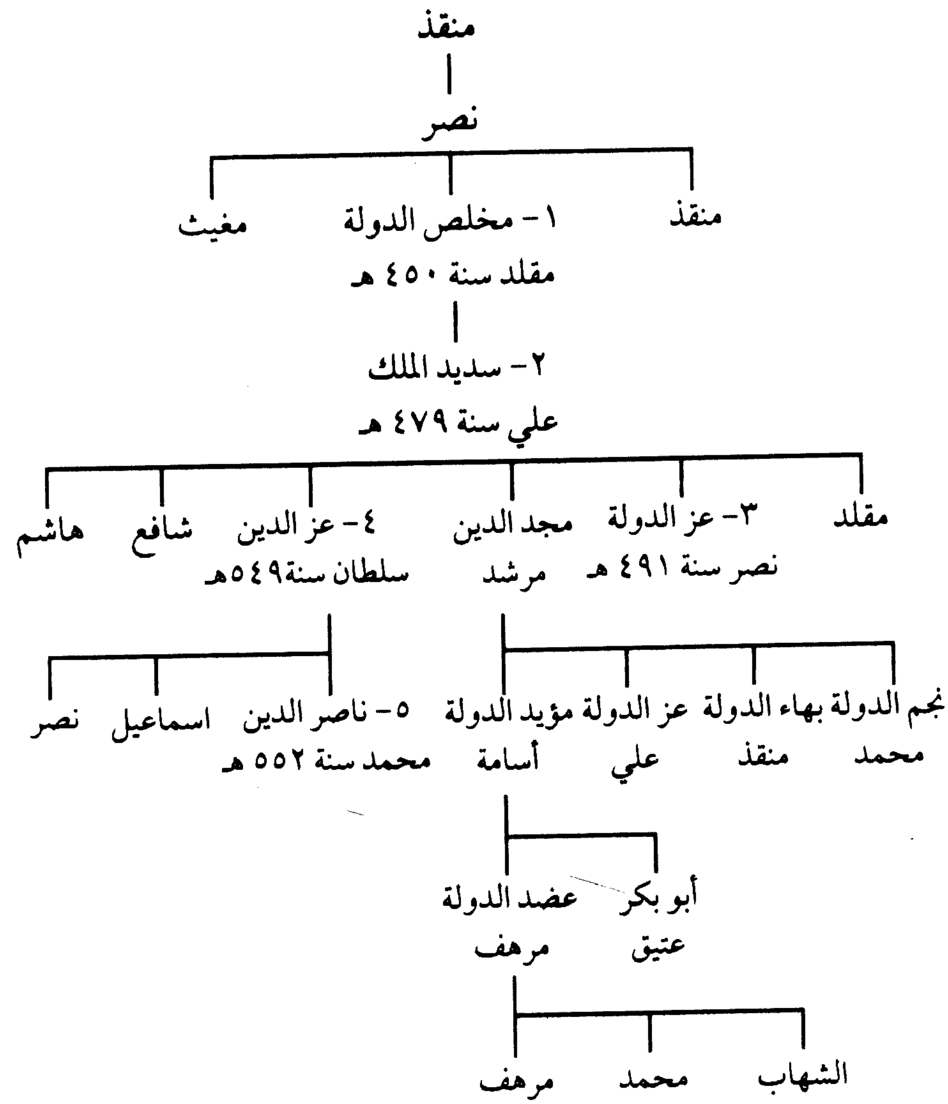
١١٥

وقال :

[من الكامل]

لا تحسدنَّ على البقاء مُعَمَّراً فالموتُ أيسرُ ما يؤولُ إليهِ
وإذا دعوتَ بطول عمرٍ لامرئٍ فاعلمْ بأنّك قد دعوتَ عليهِ

التخريج – خريدة القصر ١ : ٥٠٨
معجم الأدباء ٥ : ٢٠٠



شجرة نسب بني منقذ طبقاً لما جاء في كتب أسامة وأصحاب التراجم
الأرقام تشير إلى حكام شيزر وسنة وفاتهم

إعداد: محمد عدنان قيطاز

تم جمع الملتقط من شعر أسامة بن منقذ
والحمد لله الذي بفضله تتم الصالحات

من آثار المؤلف

١- اللهب الأخضر [شعر] توزيع مكتبة العروبة- حماة ١٩٧٨
٢- ديوان وحيد عبود [جمع ودراسة] منشورات اتحاد الكتاب العرب ١٩٨٦
٣- في ملكوت الحب [شعر] منشورات وزارة الثقافة السورية ١٩٩٤

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المخطوطة

١ - أسامة بن منقذ: أحمد قدري الكيلاني [نسخة مصورة محفوظة لدى الأستاذ وليد قمباز في حماة].

ثانياً: المطبوعة

١ - الإمارات العربية في بلاد الشام: محمد محمد مرسي الشيخ- الطبعة الأولى- القاهرة.

٢ - أسامة بن منقذ حياته وآثاره (جزءان): حسن عباس- الهيئة المصرية العامة للكتاب- فرع الاسكندرية- ١٩٨١ .

٣- أسامة بن منقذ: قمر كيلاني- مكتبة النوري بدمشق- ١٩٨٢ .

٤ - أسامة بن منقذ أو شيزر وآل منقذ: الشيخ طاهر النعساني الحموي- المكتبة الوطنية- حماة.

٥- الاعتبار: أسامة بن منقذ- تحقيق فيليب حتي- جامعة برنستون- ١٩٣٠ .

٦ - الاعتبار: أسامة بن منقذ- تحقيق قاسم السامرائي- الرياض- ١٩٨٧ .

٧- البداية والنهاية (ج١٢): ابن كثير الدمشقي (٧٧٤) هـ- الطبعة الخامسة- بيروت ١٩٨٣ .

٨- البديع في نقد الشعر: أسامة بن منقذ- تحقيق أحمد أحمد بدوي وحامد عبد المجيد- القاهرة- ١٩٦٠ .

٩- البديع في البديع في نقد الشعر: أسامة بن منقذ- تحقيق عبد آ. علي مهنا- بيروت ١٩٨٧ .

١٠- بغية الطلب في تاريخ حلب: ابن العديم (٦٦٠) هـ- تحقيق د. سهيل زكار-دمشق ١٩٨٨ .

١١- تاريخ الأدب العربي (ج٦): بروكلمان- ترجمة السيد يعقوب بيكر- دار المعارف بمصر- ١٩٧٧.
١٢- تاريخ دمشق = ذيل تاريخ دمشق: ابن القلانسي (٥٥٥) هـ- تحقيق سهيل زكار- دمشق- ١٩٨٣.
١٣- تقويم البلدان: أبو الفداء (٧٣٢) هـ- باريس- ١٨٤٠.
١٤- التكملة لوفيات النقلة (مج١): عبد العظيم المنذري (٦٥٦) هـ- تحقيق بشار عواد معروف- الطبقة الثانية- بيروت- ٩٨١.
١٥- خريدة القصر وجريدة العصر (ج١- قسم شعراء الشام) العماد الأصفهاني (٥٩٧) هـ- تحقيق شكري فيصل- دمشق- ١٩٥٥.
١٦- ديوان أبي تمام: شرح وتعليق شاهين عطية- بيروت- ١٩٦٨.
١٧- ديوان أبي نواس: تحقيق أحمد عبد المجيد الغزالي- القاهرة- ١٩٥٣.
١٨- ديوان أسامة بن منقذ: تحقيق أحمد أحمد بدوي ورفيقه- الطبعة الثانية- القاهرة- ١٩٨٣.
١٩- سير أعلام النبلاء (ج٢١): شمس الدين الذهبي (٧٤٨) هـ- تحقيق بشار عواد معروف ورفيقه- الطبعة الأولى- بيروت٠ ١٩٨٤.
٢٠- شذرات الذهب: ابن العماد الحنبلي (١٠٨٩) هـ- الطبقة الثانية- بيروت- ١٩٧٩.
٢١- شعر النابغة الجعدي: تحقيق عبد العزيز رباح- دمشق- ١٩٦٤.
٢٢- عيون الأنباء في طبقات الأطباء: ابن أبي أصيبعة (٦٦٨) هـ دار الثقافة- بيروت [بدون تاريخ].
٢٣- عيون الروضتين في أخبار الدولتين: أبو شامة (٦٦٥) هـ- تحقيق أحمد البيسومي- وزارة الثقافة السورية- ١٩٩١.
٢٤- فيض الخاطر (ج٤): أحمد أمين- القاهرة- ١٩٦٦.
٢٥- الكامل في التاريخ (ج١١): ابن الأثير (٦٣٠) هـ- دار صادر- بيروت ١٩٧٩.

٢٦- كتاب الروضتين في أخبار الدولتين : أبو شامة (٦٦٥) هـ طبعة وادي النيل بمصر القاهرة- ١٢٨٧هـ.
٢٧- كتاب العصا : أسامة بن منقذ- تحقيق حسن عباس- الهيئة المصرية العامة للكتاب- فرع الاسكندرية- الطبعة الثانية ١٩٨١ .
٢٨- كشف الظنون : حاجي خليفة- طبعة مكتبة المثنى وبيروت .
٢٩- لباب الآداب : أسامة بن منقذ- تحقيق أحمد محمد شاكر- بيروت ١٩٩١ (مصورة عن الطبعة المصرية ١٩٣٥) .
٣٠- المختصر في أخبار البشر : أبو الفداء (٧٣٢) هـ- طبعة دار المعرفة (مصورة)- بيروت .
٣١- مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر : ابن منظور (٧١١) هـ- تحقيق ابراهيم صالح- الطبعة الأولى- دمشق ١٩٨٧ .
٣٢- معجم الأدباء : ياقوت الحموي (٦٢٦) هـ- دار الفكر- الطبعة الثالثة ١٩٨٠ .
٣٣- معجم البلدان : ياقوت الحموي (٦٢٦) هـ- دار صادر بيروت ١٩٧٧ .
٣٤- معجم ما استعجم : عبد الله بن عبد العزيز البكري (٤٨٧) هـ- تحقيق مصطفى السقا- القاهرة- ١٩٤٥ .
٣٥- مفرج الكروب في أخبار بني أيوب (ج١) : ابن واصل الحموي (٦٩٧) هـ تحقيق جمال الدين الشيال- القاهرة- ١٩٥٣ .
٣٦- مصادر التراث والبحث : محمود فاخوري- منشورات جامعة حلب- ١٩٨٩ .
٣٧- المستشرقون : نجيب العقيقي- الطبعة الثالثة- القاهرة ١٩٦٤ .
٣٨- المنازل والديار : أسامة بن منقذ- تحقيق مصطفى حجازي- القاهرة- ١٩٦٨ .
٣٩- المنازل والديار (جزءان) : أسامة بن منقذ- المكتب الاسلامي- دمشق- ١٩٦٥ .
٤٠- من كتاب الاعتبار : اختيار عبد الكريم الأشتر- سلسلة المختار من التراث العربي رقم ١٤- وزارة الثقافة السورية- ١٩٨٠ .

٤١- نوادر المخطوطات (ج١): عبد السلام هارون- الطبعة الأولى
٤٢- نوادر المخطوطات (ج١): عبد السلام هارون- الطبعة الثانية- ١٩٧٢ .
٤٣- نزهة الأنام في محاسن الشام: أبو البقاء عبد الله بن محمد البدري- بغداد- ١٣٤١ هـ.
٤٥- نهاية الأرب (ج١١): أحمد عبد الوهاب النويري (٧٣٣) هـ- نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية .
٤٩- هدية العارفين: اسماعيل باشا البغدادي- طبعة مكتبة المثنى وبيروت .
٤٧- الوافي بالوفيات (ج٨): صلاح الدين الصفدي (٧٦٤) هـ - تحقيق محمد يوسف نجم- الطبعة ا لثانية- ١٩٨٢ .
٤٨- وفيات الأعيان (ج١): ابن خلكان (٦٨١) هـ - تحقيق احسان عباس- بيروت ١٩٧٨ .

ثالثاً: الدوريات

١- أخبار التراث العربي- المجلد ٥ (٥٢- ٥٣- ٥٤): ٢٢ تاريخ جمادى الأولى- شوال ١٤١١ هـ معهد المخطوطات العربية- القاهرة .

فهرس الكتاب

٣٠٠٠ط ١/١/١٩٩٨